الاحساس والنعت الحسي

بقلم عدنان بن ذريل

•

الاحساس عنصر نفسي بسيط يرد الى الشعور ، عن طريق اعضاء خاصة هي الحواس .. والحواس خمس ، وبواسطتها تتسرب الاحاسيس ، وهي متنوعة ، متميز بعضها عن بعض ، وترتبط عادة بحواسها او بالادراك مباشرة ..

حاسة البصر تقدم للانسان بواسطة العينين اشكال الاشياء والوانها ، وحاسة السمع تقدم له بواسطة الاذنين الاصوات ، والالحان ، وحاسة الشم تقدم بواسطة الانف الروائح ، وحاسة الذوق تقدم بواسطة اللسان الطعوم ، وحاسة اللمس تقدم بواسطة اليدين وسائر اطراف الجسم الخشونة والحرارة والضغط ..

وتدل التجربة على ان فقد الانسان لحاسة من هذه الحواس ، او عطلها عنده ينتج عنهما انقطاع مرضي لتسرب الاحاسيس كما تنقلها الحاسة ، في الحالة السوية الى الشعور .. ومع ذلك يمكن للانسان اغلاق عينيه ، او سد اذنيه او انفه ، فلا يرى ، ولا يسمع ، ولا يشم اذا كان لايرغب في ذلك .

في حين الذوق واللمس عادة ما ترد اليهما احاسيس متنوعة ، يتذوقها الانسان في معظم الاحيان بدون ارادة منه ، او يتلمسها ويحس بها او بحرارتها بدون ارادة منه ايضا فتشمئز لها نفسه او يتالم منها .. وقد اضاف المحدثون اليوم اللذة والالم الى هذه الاحاسيس كاحساسين(1) لهما مراكز واعصاب خاصة ، ثم حس الواقع ، والذي يميز المدركات ، ويربطها بالواقع نفسه ..

وقد كان القدماء من يونان او عرب يعتبرون ادراك الزمان والمكان والحركة ، احاسيس مشتركة كما كانوا يقولون (2) ، وذلك من حيث تمثلهم للحس المشترك كادراك للادراك .. في حين يفرق المحدثون اليوم بين حساسية باطنية ، واخرى خارجية ، ويدرسون الاحساس ابتداء من الاحاسيس الحشوية فالحركية فالخارجية ..

الحساسية الحشوية للعمليات العضوية داخل الجسم ، والحساسية الحركية للحركة والاتزان ، وتتصل بالعضلات ، ومراكز الاتزان ، كالمفاصل والقنوات الهلالية في الاذن ، والاحساس فيهما عبارة عن تنبيهات ، ومنعكسات ... ثم الحساسية الخارجية تستقبل التنبيهات من الحواس وتؤمن الاتصال بالعالم الخارجي ، والاحساس فيها يصير الى ادراك حسي بسيط .

واليوم يميزون في الاحاسيس الخارجية بين ما مصدره اللمس المباشر ، وهي الاحاسيس اللمسية والحرارة والالم والطعوم ، وبين الاحاسيس المدركة عن بعد ، وليس بواسطة لمس او مماسة ، وهي التي للبصر والسمع والشم .. وعادة يحللونها الى مضامينها ، وما يصاحبها من تنبيهات ومنعكسات ..

ويقول الدكتور فاخر عاقل : « كم عدد الحواس والاحساسات التي يملكها الانسان ؟. في التقاليد العلمية ان الحواس خمس ، هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس . لكنه اتضح الان اننا نمتلك من الحواس اكثر من هذا بكثير ، فالجلد مثلا الذي كان ينسب اليه احساس اللمس يعترف له اليوم بنقل اربعة احساسات هي الحس بالالم ، والحس بالضغط (الثقل) ، والحس بالحرارة ، والحس بالبرودة . وثمة احساسان لم يشر اليهما القدامى ، هما الاحساس بالتوازن ، والحس العضلي . وثمة احساسات اخرى عضوية تعتبر اساسية في الانماط المعقدة من الاحساسات كالاحساس بالجوع ، او العطش » (3) . ثم يدرسها دراسة سلوكية تجريبية .

والدكتور (يوسف مراد) يعرف الاحساس ، من وجهة نظر تكاملية بانه احساس بالفارق ، ثم يبين مضامينه ، وصلته بالمدركات ، ويرى انه من طبيعته مرشح للمساهمة في النشاط النفسي والادراكي . قال : الاحساس ... هو الاحساس بالفارق ، والاحساس بالفارق هو ما نسميه الشعور (4) .

ثم يقرر الدكتور يوسف مراد انه من العسير العثور على احساس صرف ، او احساس منفصل تماما عما يصاحبه من احاسيس اخرى ، او من شحنات وجدانية وادراكية ، ويعرف الاحساس ايضا بانه : هو ادراك ضمني (5) .

والاستاذ حامد عبد القادر يرى في الاحساس ادراكا ، او تعقلا بواسطة الحس ، قال : « يقرر علماء النفس ان اساس العمليات العقلية الادراكية هو الاحساس ، او الادراك الحسي . والادراك الحسي كما يفهم من اسمه هو فهم او تعقل بواسطة الحواس ، كادراك الوان الاشياء واشكالها واحجامها وابعادها واوضاعها بواسطة البصر ، وادراك الاصوات والنغمات بالسمع ، وادراك الطعوم

---

(1) راجع في المعرفة ، العدد 140 تشرين الاول 1973 دراسة (ادب الوجدان) لعدنان بن ذريل ، حيث التعريف بهذين الاحساسين ، مع ربطهما بالوجدان والعاطفة والتعبير عنهما .. ص 178 — 192 ..

(2) الراي لارسطاليس ، ونجده في التراث العربي .. والمحسوسات المشتركة هي : الحركة والسكون والعدد والشكل والمقدار ، وقد اضيف اليها الوضع والممارسة والقرب والبعد ..

(3) علم النفس دراسة التكيف البشري ، فاخر عاقل ، بيروت 1965 ، ص 124 .

(4) مبادىء علم النفس العام ، يوسف مراد ، مصر 1948 ، ص65 .

(5) مبادىء علم النفس العام ، السابق الذكر ، ص 68 .

بالذوق ، والروائح بالشم ، وملمس الاشياء باللمس »(٦).

ثم يشرح ذلك فيقول : « اي ان الادراك الحسي يترتب عليه ادراك المرئيات والمسموعات والمذوقات والمشمومات والملموسات بواسطة الحواس الخمس الظاهرة، وهي العين ، الاذن ، اللسان ، الانف ، الجلد (٧) » . ثم يضيف ان التصور ينشأ من الاحساس ، قال : « ... ومن الادراك الحسي ينشأ التصور ، وهو استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتهن عن الحواس ، دون التصرف بها بزيادة او نقصان (٨) » .

ان الاحساس ادراك ضمني لا مراء في ذلك ، الا ان ربطه بالحساسية على اختلاف انواعها خير من ربطه بالعمليات الإدراكية .. وذلك لان الحساسية واقع نفسي ذو مراحل نفسية بدائية لا يمكن انكارها لها اثرها في الحياة النفسية ، وفي التعبير الادبي ..

في الحياة النفسية يتعلق بها السلوك الحياتي الاولي والبسيط تجاه ما يسمى (٩) بالملائم وغير الملائم ، والارتياح وعدم الارتياح له ، كما تتعلق بها احاسيس اللذة والالم ، فتنسج حولها المواقف لتحيلها الى سلوك حياتي ..

وفي التعبير الادبي تتعلق بها ظاهرة (النعت الحسي) للأحاسيس ، او للحاجات والميول والانفعالات والعواطف والمعاني والافكار ، وبعض هذا النعت الحسي نعت رمزي .. كما تتعلق بها ظاهرة النعت الحسي على العموم ، وبعضه ايضا نعت رمزي ..

واذا حاولنا دراسة التعبير عن الاحاسيس في احوال وصفها او نعتها ، نجد ان الاحساس عادة يترجم حسب انطباعه في الشعور .. ولذلك تطلق على الاحساس عادة نعوت ، لنقل جمالية وصفية تصور انفعال الشخص بالاحساس .

فيقال في الصوت انه رباني ، ملائكي ، معجز ، مخملي ، خارق ، ناعم ، حاد ، مخنوق الخ .. كما يقال في اللون انه مشرق ، كامد ، مريح ، مزعج ، حار ، بارد ، ذو ثقل ، معشوشب ، رطب الخ ..

هذه النعوت للاحاسيس ليست كلها من نوع واحد ، فبعضها جمالي وصفي عام ، مثل رباني ، ملائكي ، معجز خارق ، او ايضا مشرق ، مريح ، مزعج ..

وبعضها حسي وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة ، ويقوم على نعت احساس باحساس اخر ، مثل ناعم ، حاد، مخملي ، مخنوق للصوت ، او معشوشب ، حار ، بارد ، ذو ثقل ، رطب اللون .

وقد اهم علم النفس العام معرفة موضوع تكويني ، وهو :

هل من اتصال عضوي بين الحواس ؟.

ام ان هذا النعت الحسي للاحساس من فعل الاقتران؟

ام هو من فعل التشبيه ، بغية تقريب الوصف من السامع ؟.

ويدل التشريح (١٠) على ان بعض الحواس مثل حاسة اللمس فيها مراكز لاحاسيس عدة لمسية وحرارية وضغطية وحركية ولذة والم ، وان بعضها الاخر مثل السمع والبصر والشم متصل بهذه المراكز او بعضها، فتميز الخشونة مثلا او الحرارة ، او الاتجاه ، او التوازن ..

ويقول العالم النفسي جورج ديما في مدونته : « ... ان نعوت الاحاسيس المتعلقة بالاعضاء او المراكز اللمسية والحرارية والعضلية هي في الواقع ممزوجة بالاحساسات البصرية والسمعية والشمية والذوقية (١١) ».

ناهيك بان حاسة السمع تقترن بالحساسية الباطنية، وخاصة الحركية الاتزانية واحاسيسها العضلية المختلفة ... فكيف اذن نفسر هذا النعت الحسي للاحساس ؟ .. ام النعت الحسي على العموم ، اي الذي للحاجات والميول، ثم العواطف والانفعالات والمعاني كيف نفسره ؟.. وهل هما يتأثران بالتكوين ، ام يتأثران من اصطناع التشبيه في التعبير ؟!

فنحن نقول في الجوع والعطش ، او في الميل والجنس : جوع عاض ، عطش محرق ، ماء يبل القلب ، رغبة خانقة ، لذة طافحة ، جنس هادم الخ ..

ثم نقول في الانفعال ، والعاطفة ، والمعاني مثلا : غضب مفترس ، يفترس صاحبه ، او يفترس الناس ، حزن يهد الناس او يفتت اكبادهم ، كمد يبتلعه صاحبه او يبتلع الصاحب ... او ايضا حنين منعش ، مجد براق ، بسمعة نظيفة الخ ..

ان بعض هذه النعوت جمالي وصفي مثل غضب مفترس ، او سمعة نظيفة ، في حين بعضها الاخر حسي ، مثل جوع عاض ، عطش محرق ، والتي هي نعوت لاحاسيس حشوية ، وليست نعوتا مجازية ..

بعبارة اخرى ، ان مجرد شعور الشخص بالعطش، او الرغبة الجنسية يشعره بالاحتراق او الانهدام .. وذلك بسبب جفاف في الحلق او البطن او بسبب نشاط افرازي مهيج للغدد التناسلية ، او مثبط لها ..

كما ان الشعور بالحزن ، والكمد يجعل المرء يتحسر على نفسه ، فيعاني وقع التجربة التي اوجدته وهكذا دواليك !.. ثم اليس يذكر المجد مع الاضواء والبريق ، وتذكر السمعة الحسنة مع الثوب المف النظيف !..

فبماذا نفسر اذن هذه الانواع من النعوت ؟. وكيف

---

(٦) ـ دراسات في علم النفس الادبي ، حامد عبد القادر، مصر ١٩٤٨ ، ص ٣١ .

(٧) و (٨) المصدر السابق الذكر ، ص ٣١ و ٣٣

(٩) ادب الوجدان ، السابقة الذكر ، ص ١٨٧ و ١٨٨

(١٠) وتجد في مصدري يوسف مراد ، وفاخر عاقل السابقي الذكر شروحا علمية مستفيضة تكاملية ، وسلوكية متنوعة في ذلك كله ..

(١١) المدونة الجديدة في علم النفس ، جورج ديما ، باريز ١٩٤٣ ، ج٤ ، ص ٢٧٣ .

نفسر استعمال التشبيه فيها ؟ او على الاقل في بعضها ؟. وما هي حدود الرمز التي للنعت الرمزي فيها ؟.....

لقد قدمت حلول مختلفة لظاهرة النعت الحسي للاجساس ، او النعت الحسي على العموم ، بما فيه النعت الرمزي ، راينا من الخيز اعطاء فكرة عنها (١٢) .

ذلك ان علم النفس في عديد من مدارسه ، وخاصة علم النفس العام دقق في موضوع هذه النعوت الحسية المختلفة ، وردها الى عناصر وعوامل تكوينية واقترانية ..

تقول النظرة العضوية ان مرد هذه الظاهرة التعبيرية، ظاهرة النعوت الحسية ، وجود وحدة عضوية للحواس ، اي طبقة مشتركة بين الاحاسيس كلها ، يسميها « فرنر » الطبقة السينستيزية ، وهي على حد قوله :« الحساسية الواحدة المشتركة التي تختلف ابتداءمنها الظاهرات الخاصة في المجالات الحسية المختلفة (١٣) » .

في حين يفسر اصحاب النظرة الصيغية ظاهرة النعوت الحسية بوجود احساس مشترك بين الحواس ، وهو في نظرهم احساس تركيبي صيغي ، اذ نحس احاسيسنا ككل ، اي في صيغة تركيبية ، مثل سائر حالاتناالنفسية.

ويقول «بول غيوم » في كتابه « علم النفس الصيغي» في هذا الاحساس الصيغي ، انه : ــ بدائي اولي ــ(١٤) ، رغم تعقده ، لا يمكننا تحليله ، بل هو ابسط ما يمكن الرجوع اليه في تحليل المضمون النفسي (١٥).

وترد النظرة الارتباطية هذه الظاهرة الحسية الى اقتران اتفاقي بين الاحساسين ، يحمله المرء في نفسه من تجاربه السابقة ، وخاصة ما يرجع منها الى طفولته ، فيعبر عنه تعبيرا مباشرا .

اي انها لا تعترف لهذه الظاهرة التعبيرية الحسية بالاساس العضوي ، او الصيغي التركيبي ، وتفسرها من وجهة نفسية بالاقتران التذكري الذي يمكن تفسيره بما تفسر به الذاكرة ، من مشابهة او تضاد وغيرهما ..

التفسير هنا بعبارة اخرى نفسي ، بينما النظرتان السابقتان جعلتا لهذه النعوت الحسية اساسا تركيبيا ، او عضويا ..

اما النعت الحسي على العموم ، والذي يدنينا من المجال المعنوي ، فان علم النفس العام يهمه فيه اقتران الانفعالات مثلا بالجسم ، او ايضا تدخل احدى الملكات النفسية في التعبير عن اوضاع الحساسية والوجدان ..

وعلم النفس العام في هذا المجال ينوه بنظرية لانج ، وجيمس من وجود احساسات عضوية ، هي في اساس تكوين هذه الانفعالات المقترنة بها .. بحيث يكون الشعور بالانفعال في نظرهما نتيجة هذه التغيرات العضوية والوظيفية (١٦) .

وقد رد الكثيرون على هذه النظرية كما هو معروف ، ورجحوا عكس نتائجها ، بحيث ان فصل الانفعال عن منعكساته العضوية والوظيفية هو الاقوم ..

واليوم يعترف البحث العلمي الحديث بوجود ملكة الرمز ، وهي ملكة من الملكات الكبرى المنظمة للحياة النفسية .. وقد حل القول بها بالفعل كثيرا من المشاكل في موضوع هذه النعوت الحسية المختلفة ، وغيره ..

والنعت الرمزي في المجال الحسي في تفسير علم النفس العام يقوم على اساس المشابهة ، وليس على اساس وحدة التكوين ، او الاقتران ..

والتفرقة اذن بين نعت حسي عادي ، ونعت حسي رمزي .. الاول يقوم على اقتران احساس باحساس ، مثل الاحاسيس الحشوية والعضلية والاتزانية في الاذن ، او اللمسية والحرارية والتي للالم في اللمس وغير ذلك كما راينا ..

في حين النعت الرمزي يقوم على المشابهة .. والمشابهة هنا في المجال الحسي عمل تخيلي ، وهي تعتبر الحس الواحد بالنسبة للحس الاخر ميدانا مغايرا له ، فتصطنع له التشبيه الرمزي ..

النعت الرمزي اذن بمثابة همزة وصل بين هذين الميدانين ، وآفاق انطباع كل منهما ، مثل همزة الوصل التي تربط في الرمز بين المستويين المكونين للرمزية ، المحسوس والمعنوي (١٧) .

هناك بالفعل نعوت آلية ، وهندسية كثيرا ما ننعت بها احاسيسنا تقوم على المشابهة ، مثل : صوت ثقيل ، نامم ، خفيف ، حاد، او طعم مضخم ، لولبي ، في بعض المشروب ، او رائحة سطحية ، او خفيفة ، او مهدمة .

هذه النعوت رمزية من حيث قيامها على المشابهة .. وليس على اساس الوحدة العضوية بين الاحاسيس ، او الاتصال التركيبي ، والصيغي ..

وبالنسبة لشتى الاحاسيس التي مررنا بها ، النعوت القائمة على اساس المشابهة نعوت رمزية ، كقولنا : صوت صاف ، عكر ، مبتل ، ناري ، حاد ، او لون رنان ، ملتهب، ثقيل ، حار ،بارد ..

وكذلك في المجال الوجداني ، ثم الفكري قولنا : فرح سطحي ، حزن معتم ، بهجة محدودة ، ارادة فولاذية، فكر نير ، خيال بصير وغيرها مثل دراسة عميقة ، او تحليل مسطح ، نظرة افقية ، فهي رمزية تقوم على

---

(١٢) ومن اراد التوسع يراجع دراسة جورج ديما « ملكة الرمز » في المرجع السابق الذكر ، ثم دراستنا في سيكولوجية الرمزية ـ ٢ ، مجلة علم النفس المصرية ، مجلده ، العدد ٢ ، اكتوبر ١٩٤٩ .

(١٣) مجلة علم النفس السوي والمرضي ، وحدة الحواس للرنر، مجلد ٣١ باريز ١٩٣٤ ، وهي موجودة في مكتبة الجامعة المصرية تحت رقم د ـ ٧ .

(١٤) و (١٥) علم النفس الصيغي ، بول غيوم ، باريز ١٩٣٧ ، ص ١٦٥ وما بعدها ...

(١٦) ونعوتها الحسية مثل : متجمد من الرعب ، او مخنوق من الضيق وهكذا دواليك .

(١٧) تعريف (الرمز) كما ناقشه ، واقرته الجمعية الفلسفية الفرنسية ، هو : ـ الرمز شيء حسي معتبر كاشارة الى شيء معنوي لا يقع تحت الحواس ، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين الشيئين احست بها مخيلة الرامز ـ في سيكولوجية الرمزية ، المرجع السابق الذكر ..

على قدم الرحيل

●

« ذهب الالى صاحبتهم … وبقيت مثل السيف فردا »
سيف تحدى دهره … واهتز في غمد تردى
يزداد حدا ، بينما … اقلامه تزداد عدا
ود الكرام الكاذبين … فما استجابوا حين ودا
وغزا اللئام الكائدين … فما استطاع اللؤم كيدا
ما بال حاسده تنكر … بعدما الثى اسدى
مجدته فابى سوى … التغرير والتشهير مجدا
شلت يديه حصانتي … فاصابني بالعين رمدا

ومعمر علك السنين … ولم يزل كالطفل رشدا
آلى الصعود فراغه … ان ينتهي من حيث ابدا
اقسى تعاليم الحياة … العلم ان الموت اجدى

باريس … جورج صيدح

المشابهة التي ابتعثها الانطباع في الشعور ، مما يفتح المجال امام التشبيه الرمزي ، والاخيلة الرمزية ..

وملكة الرمز ملكة كبرى منظمة للحياة النفسية والتعبيرية ، وهي تشمل كافة المجالات الحسية والوجدانية والادراكية ..

انها في مجالي المعرفة ، والتعبير وسيلة حدسية غير مباشرة ، تدور على نفس مضامين المعاناة فتدركها ، وتعبر عنها .. فهي في ذلك تذلل صعوبات المعرفة المباشرة ، وايضا صعوبات التعبير المباشر ..

وكلا النوعين من الصعوبات سببهما طبيعة الحالة النفسية ومواصفاتها ، وايضا مضامينها وبواعثها ، والعوائق الاجتماعية التي تحول دون وضوحها او الافصاح عنها ..

ان التعبير المتحقق المنجز الذي يلبس لبوس الرمز ، والرمزية ، بشكل تلقائي او ارادي ، وخاصة في المجال الادبي والاسلوبي ، يحقق هدف المعرفة ، ثم الافصاح عنها بواسطة اصطناع التشبيهات والاخيلة الرمزية (١٨) ..

ولا فارق بين ان تكون مضامين هذا التعبير الرمزي اساطير ، او قصصا ، او ايضا خواطر واحلام وطموحات ، ورؤى للاشياء وغير ذلك ، ما دامت مضامين معنوية لجأ الحدس ، وايضا الارادة نفسها الى اصطناع هذه التشبيهات والاخيلة الرمزية للافصاح عنها ، كما نص تعريف الرمز على ذلك ..

ان ملكة الرمز بتذليلها هذه الصعوبات تصبح قدرة للتنظيم النفسي ، والتكيف مع المجتمع ، فتنفس عن الكبت النفسي ، والاجتماعي في المحظورات المباشرة نفسها .. فكيف تكون الحال اذا اردنا ان نرد مضامين المعاناة الى جذورها الشعورية ، او اللاشعورية في التجربة الانسانية !..

دمشق … عدنان بن ذريل

(٨) سبق ان نشرنا في بلاغة الرمز ، والرمزية بحوثا مستفيضة في الاديب ، البيروتية الفراء ، والادب القاهرية ، ودمشق المساء ، والثقافة وغيرها ..

الشيخ ابراهيم المنذر

نائبا عربيا لبنانيا ثائرا

بقلم عجاج نويهض

● ● ●

قبل ان اتبسط في القول ، علي ان اعلن اني مع معالي الاستاذ عبد الله المشنوق ، في ان الشيخ ابراهيم المنذر الفساني الارومة ، وهو الصوت العربي الصارخ في المجلس النيابي اللبناني في عهد الانتداب الفرنسي ، ومضى على وفاته رحمه الله ٢٥ سنة الا بضعة اشهر ، كان اولى بان يسمى هذا الكتاب الجديد الجامع لطائفة كبيرة من آثاره « حديث ثائر » بدلا من « حديث نائب » . والتفصيل بعد.

قبل ١٩ شهرا صدر الجزء الاول من شعر الشيخ ابراهيم المنذر « منشورات مكتب الدراسات العلمية » في بيروت ، وكثر التهليل للقافلة الاولى من شعر المنذر لا في لبنان وحده ، بل ايضا في العالم العربي كله لسببين كبيرين : اولا لان الشيخ ابراهيم المنذر تنطوي سيرة حياته على ثروة لا حدود لها من الاعتصام بالقومية العربية ، وهذا راس القائمة ، ومن الادب العربي الصافي الينابيع شعرا ونثرا ، ومن البروز في الخطابة الارتجالية القيمة المعقدة ولاسيما السياسية ، هذا الى فن نذر المنذر له نفسه معظم حياته ، وهو التعليم والتهذيب وانشاء المدارس وهداية الجيل الى الطريق المستقيم ، وفوق ذلك كله امراقه في الاخلاق الكريمة المترفة بالمروءات الغزيرة . فالشيخ ابراهيم المنذر بات معروفا في العواصم والحواضر العربية الى حد بعيد . وهذا هو السبب الاول . واما الثاني ، فمن ينكر ان الامة العربية في دورها الحاضر ، امست في التماسك والتعاهد والتعانق ، امة متراصة ، او كطبق من نحاس اذا نقرته اقل نقرة انطلق رنينه من جميع اطرافه ، اذ هو جسم واحد . فالعرب العاملون اليوم في القضايا الوطنية على النهج القويم ، باتوا يعرفون في الاقطار الاخرى الدانية والقاصية ، كما يعرفون في بلدهم ، عن طريق المؤتمرات والرحلات وتبادل البرامج الثقافية الاذاعية والتلفازية والصحف والمجلات والمناقشات والاقتراحات ، الى غير ذلك من وسائل التقريب والتقارب حتى كاد العربي المتتبع للحوادث اليومية في العالم العربي ، ويتلو الانباء والفصول والتعليقات ، وامام بصره الصورة او الرسم ، يعرف الشخصيات ، وان لم يسبق له ان اجتمع بها ، ويمد بنظره الى الآفاق ، وكانه في تطلعه هذا ، يردد مع مزرد اخي الشماخ :

تطالت فاستشرفته فرايته ... فقلت له انت زيد الارقم

طال بنا السير نوعا ما ، ونحن نطوف بذكر المنذر لبنانيا وعربيا ، وعلى ذكر ظهور الجزء الاول من ديوانه آخر سنة ١٩٧٣ . واني شخصيا اعد نفسي بكل اعتزاز من تلاميذه روحيا ، رحمه الله ، وقد تفضلت مجلة « الاديب » بريد العرب والعروبة ، بان نشرت لي في عدد ابريل من السنة الماضية مقالا في استاذنا المنذر بينت فيه صلتي به وانا تلميذ في مدرسة برمانا سنة ١٩١٣ ثم لقائي به بعد ذلك مرتين آخرها ١٩٣٤ في بيروت .

وانه لمن المبهج المنعش للنفس ، ان نرى اليوم « الشيخ ابراهيم المنذر » في كتاب « حديث نائب » وايضا منشورات مكتب الدراسة العلمية بيروت في ٤٢٩ صفحة ، جميل الاخراج ، ومحلى بعدة رسوم جميلة ملونة للمنذر في مواقف مختلفة ، وهذا الكتاب يمتاز بصفتين بارزتين ، الاولى : انه ليس كتاب مذكرات ولكنه جاوز في محتواه كتب المذكرات المعتادة ، اذ هو المختار من آثار المنذر ، وآثاره هذه هي ما نشره في الصحف العربية في لبنان وسوريا والمهاجر من مقالات وطنية كشافة ، صارخة بالحق ، مبدوءة بسنة ١٩١٨ وتنتهي بسنة ١٩٤٣ وفي اخر هذه السنة بدا لبنان يتمخض مخاضه المعلوم ليستل استقلاله ويرفع رايته . وتوفي المنذر بعد ان اكتحلت عيناه باجتلاء تلك الراية ما يقرب من سبع سنين ، فيكون نضاله المطرد من اوائل هذا القرن الى منتصفه قد تكلل بظفر المجاهد ، وازدان راسه باكليل الغار فهو من الخالدين ومن المكرمين في النعيم والصفة الثانية انه يصور لنا عهد الانتداب تصويرا دقيقا .

فبنات افكاره ، او نفثات صدره ، او بث انينه وشكواه ، كل هذا هو القسم الاول من محتوى الكتاب . واما القسم الثاني فهو خطبة في البرلمان اللبناني ، والانتداب الفرنسي يمتص البلاد وتارة يجزئها ويقسمها ، وطورا يعود (في سوريا) فيجمعها ويهيمن عليها . واني اعتقد ان اولادنا واحفادنا ومن ياتي بعدهم ، هؤلاء هم الذين سيكتبون تاريخ الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان وتاريخ الانتداب البريطاني المنتهي باسرائيل في فلسطين ، اما الى الان فلم يدخل الغربال بعد على مادة هذا التاريخ .

هذا الانتداب الفرنسي في لبنان جعل يطارد الشيخ ابراهيم المنذر من اول يوم . فكان المنذر قاضيا في المحكمة فاخرجه الانتداب من الوظيفة .

وضايق الانتداب المنذر فاضطر ان يرحل الى حلب ، ثم عاد فصارت الامة ترشحه للنيابة عن « قضاء المتن » والانتداب يعارضه ويملأ طريقه الى النيابة بالشوك والعليق ، ولكن في كل مرة يفوز المنذر وانف الانتداب راغم ، وقلما نعلم قضية مثل هذه في غير مكان . وعلينا الا ننسى ان فوز المنذر كل مرة كان يضاعف ثقة الامة به ،

والانتداب يعالج عينيه المفقوء فيها الحصرم .

هذه الخطب البرلمانية من ١٩٢٢ الى نهاية الشوط، من الخير للتراث وللجيل الحاضر الصاعد انها كلها محفوظة مدونة ، فما اعظم هذه البركة .

تاتي الان الى المقدمة البارعة للاديب الكبير ، والصحافي الشهير والوزير في عهد الاستقلال ، الاستاذ عبد الله المشنوق . فمقدمته للكتاب في اقل من خمس صفحات ولكنها محشوة « بالفيتامين » واللباب حشوا . ويلوح لي ان الاستاذ المشنوق ، وهو قسطاس حق وميزان عدل ، لما جاء يضع المقدمة ، رأى ان المنذر من المنذرين والثائرين ، واسم كتابه الجامع لبعض آثاره ومآثره ،ينبغي ان توافق الصفة فيه الموصوف ، واسم الكتاب « حديث نائب » لا يفي بهذه الغاية ، فقال في هذا الصدد (ص ٨) من المقدمة :

« و « حديث نائب » ليس في نظري المتواضع العنوان الذي كنت اختاره لهذا الكتاب ، بل كنت اطلق عليه عنوان « حديث ثائر » . فالشيخ ابراهيم المنذر زعيم ثورة عامة ، شملت السياسة ، والادب ، والتربية ، والصحافة والاجتماع . وما كانت النيابة من الشعب وقد نالها بتفوق لا مثيل له ، ولم تكلفه اكثر من ربع ليرة لبنانية ثمن الطابع ـ سوى مظهر من مظاهر نضاله الطويل والمفيد خلال نصف قرن » .

ارايت اجمل من هذا الكلام ؟ ولذلك لم استطع ان اصبر حتى اصل الى هنا في ما اقول ، فاعلنت في اول فقرة من كلامي اني مع الاستاذ العادل المشنوق في ان « حديث ثائر » كان اولى . ولكن مهما يكن من امر في تسمية الكتاب ، فالقارىء وهو يقرأ ويتنقل من موقف الى موقف ، ويرافق المنذر في ساعاته وايامه لا يلبث ان يوقن انه مرافق لثائر ، فكان اختيار الاستاذ المشنوق « لحديث ثائر » قد تم اذ ثورة المنذر ، قائمة في حياته ، مدونة في سجل البرلمان وصفحات الصحف قبل ان يصدر هذا الكتاب الثائر اليوم .

من العوامل التي تحرك النفس ، وتبعث على ان تنزع المنازع الشريفة النبيلة ، في هذا الكتاب « روح » المنذر .

فان « الروح » لا تنتهي رسالتها في الدنيا بمجرد انفصالها عن البدن . فآثار الروح تبقى ، واذا كانت مدونة مكتوبة ، فعندما نطالع شيئا من هذه الآثار المدونة للروح ، فاننا نشعر بذلك وهكذا امرك وانت تطالع كتابات هذا الثائر في الشؤون الوطنية المختلفة . روحه تتكلم . افكاره هي الناطقة . فتحيا انت مع المنذر ، وهو يحيا معك . واما لسانه ، احدى جوارحه ، فسكت من حيث بدات الروح تتكلم .

ولا يمكن ان تقيم اي ميزان للمادة المدونة ، التي يقع عليها النظر ، وتدخل في باب المطالعة ، في العالم كله وفي اي لغة ولسان ،ما لم تتذوق اسلوب الكلام .واسلوب المنذر في مطلق كلامه ، المسموع وقت حياته ، والمقروء بعد مماته ، اسلوب عذب آسر ، والاسلوب لا يقبل الصنعة والزخرف ، فهو الجبلة والسجية والغريزة التي فطرها الفاطر في الانسان . والذين يتصنعون الاسلوب في الكتابة ، انما هم حواة ومن مرقصي السعادين . اذن ، المنذر ، خلوده بروحه واسلوبه .

لا يتسع لي المجال فوق ما هو نصيبي هنا ، ان اتكلم عن حسنات حديث « الثائر » كلها وانما آخذ قضية واحدة ورد ذكرها في خطب المنذر في المجلس النيابي وفي الصحف ، وهي اللغة العربية ، ومقامها ، وقيمها وانها هي الامة التي تنطق بها ، لا اقل من عشرين مرة بل اكثر . وتناول الجرائد الرسمية في سوريا ولبنان وراح يتمنى لو ان هذه الصحف يتولى امرها ارباب الكفايات السبق مثل منير المدور ، وشبلي ملاط ، ومصطفى الغلاييني وطانيوس عبده ، وهذا التمني كان سنة ١٩٢١ . وعمل المنذر جهده ، وهو جهد عظيم في صدد مجمع علمي لبناني ، واللذة كل اللذة ان تقرأ في غضون ذلك آراء بعض العلماء كالاستاذ حبيب الحتي والاستاذ اسعاف النشاشيبي وغيرهما .

وحسبي ان اذكر للقارىء الكريم بعض المسائل التي عالجها المنذر في الصحف والمجلس النيابي وخطبه العامة :

احياء ذكرى الشهداء . دار الكتب الوطنية . تنكيته على اول ايلول ١٩٢٠ وقد جعل عيد استقلال لبنان . ان تكون العربية لغة المعاملات الرسمية الا مع المفوضية الفرنسية . الموظفون اللبنانيون يجهلون الكتابة العربية الصحيحة . تصحيح اغلاط الكتاب والصحف . النشيد الوطني (١٩٢٤) . العلم اللبناني . الغاء المادة ٦ و ٦ مكرر . نشاط المهاجرين . المعارف والمدارس . المنذر حي بيننا جيلا فجيلا الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . رجال التراث قد يكونون في الاجداث . ولكن ارواحهم من فوق رؤوسنا تهدينا سواء السبيل .

راس المتن ـ لبنان

عجاج نويهض

من انت ؟

فـالـق جبـور

الارجنتين

الشاعر :

كم فيك من كنه تستر عن عيون بني البشر
وحقيقة جلى توارت بين احلام الفكر
من انت ؟ لا ندري ! وهل يا نفس من يدري الخبر
سر تلفع بالغموض وما استقر على اثر
غمر اللهول ذوي العقول وما دروا اين المقر
فتكلمي يا نفس وارووي للخواطر ما استتر

النفس :

لحياة النفس اسرار تولاها الخفاء
غورها يسبره اهل النهى والحكماء
انا ذات قد تردت بزة الناسوت عمدا
وكيان قد تدلى عن نظام الكون قصدا

صورة ... مثلى ، صاغني المولى لسامي!
وسلكت الدرب اطويه ولا ادري الى ما
فاذا ما مت يوما كان للبعث معادي
وانا للحق اسعى ، وعلى الحق اعتمادي!

الشاعر :

لم جئت ذي الدنيا وفيها الشر يا نفس استقر؟
لا العطف يخفق في الصدور ولا السلام بها ازدهر
تتناهبنا ايدي الشقاء الى الحظ المنتظر
في عالم ما زالت الاهواء فيه تستعر
حمل الكبار جراحهم ومشى الصغار على الاثر
يتناوبون لدى المسير فواجعا صوت العبر

النفس :

جئت كيما الثر الحب بذورا للوئام
لتنبت الامن رطيبا تحت افياء السلام
استقي من كوثر الوحي رحيقا سرمديا
يبعث الايمان في الأرواح فيضا ابديا

نسخة من صورة المبدع منذ البدء كنت
وسنى من نوره الاسمى سابقى ما حييت
استمد الوحي منه في ابتهالاتي وحلمي
واناجيه خيالا قد سما عن كل علم

الشاعر :

سادت ظنون الناس في زمن به فقد الحذر
لا فيه من عيش يطيب ولا هناء يستسر
لا الليل يعقبه الصباح اذا ادلهم ولا السحر
والغي يلعب بالنفوس كما بها لعب السكر

النفس :

انا ذات قد براها الله من نور ونار
فكياني كان منه وبه كل اقتداري
قد تعريت اعتباطا عن جنان الخلد اصلا

ياليت الدهر لا ارضى لما قدمت وصلا

قادني المولى للتي الدنيا بها ارحض ذاتي
من ذنوب اثقلت سيري ومدت عثراتي
فانا اسعى لصحو دلني الحق عليه
ساوالي السير علي اهتدي يوما اليه

الشاعر :

هل صح ما قال المعري ، يوم ساوره الضجر
« هذا جناه ابي علي » اهذا ذنب يغتفر
عق الحياة لما بها من مر اوصاب وشر
جحد الابوة . ايـن ذا مما بـه المولى نذر
اين الجناية من اب رام الهناء وما اقبر
ولد البنين فاخفقوا اربا وما نال الوطر

النفس :

ان اشقى الناس ادراهم فكل لله امره
والفكر ما قال يوما لوعة شيخ المعره
كل ما قد قيل عن ذا حدسا او ما يقال
هو تخمين وهجس صاغه عني الخيال
يا لدرب جئت اطويه قفارا ولماقد
غمر الشوك حصاه واحاطته الشدائد
انما للدرب بـدء ولـه ايضا نهايه
فاذا ما كان سيري عن هدى نلت الهدايه

الشاعر :

يوم الحساب واين ذا مما به الباري اقر
هل تصدق الاخبار عما عنه يا نفس اشتهر
ايـن الهداية بالعقاب اذا الضلال بنا استمر
هل يستحيل العطف انذارا ، به الهول انتثر
فيحول حال النفس من سقر يؤول الى سقر
اين الحنان الذ يضل وقد به السم الابر

النفس :

رحمة الله تسامت نعمة عن ان تبارى
وحنان الله اولى رافة من ان يجارى
ما الردى نلقاه عفوا بين نحاب وعبره
غير وحي الحق حاشا النفس ان تبلغ سره
انا لولا هيكلي ما كنت في الدنيا اسيره
انلوى في حنايا الصدر استصلي سعيره
واعاني من قيود الجسم اوصابا رهيبه
فاذا ما فك قيدي كنت عن جسمي غريبه

الشاعر :

قالوا الفضيلة لا ارى انا للفضيلة من اثر
نمت النميمة حيثما نار الرذيلة تستعر
والحقد قد ولج القلوب بما اضل وما اضر
والشهرة الجوفاء بين الناس كم اعمت بصر
والحق اين الحق ! لا سمع هناك ولا نظر
« فتكلمي يا نفس واروي للخواطر ما استتر»

النفس :

طال بي الدرب وطالت فيه ايام اغترابي
فمتى واطول شوقي للحمى ، ارجو ايابي
انا اسعى دون لاي لجنى الصحو الطويل
علني ان حان حيني للنوى الفى سبيلي
يا ليوم فيه القى ، ما انا انشده
نحن ما نزرعه اليوم غدا نحصده
سامني الشوق عذابا ، انا لا اقوى عليه
ولكم ابقى انعتاقا ، ابدا اصبو اليه

الشاعر :

اين المصير اذا غدا ، ما حان للنفس السفر
ومضت على متن الاثير ، كانها طيف عبر
ان كان ارهقها الضنى ، هل ثم من يجلو الكدر
او كان اجهدها ... ، هل ... ينتظر
او راح يضنكها النوى هل ثم اسفار اخر
فكر بها حار الانام وما لها عقل سبر

النفس :

ليس غير الكون ان تدري سوى لالاء نور
وحياة ايـن منها غصة العيش المرير
رب حيني بعد لاي راحة اصبو اليها
ضاع عمري في حياتي ، وانا ابكي عليها

انا ان اسعى لشيء انما اسعى لذاكا
علني القى نصيبي في حمى الخلد هناكا
هكذا ارتاح يوما من عناء وشقاء
ملقيا اثقال جسمي فوق اسمال الفناء

انا رمز ... يرفعني الشو
ق اليه على جناح الاثير
عنصري ليس من عناصر هذا
الكون كلا وما اليها مصيري
من جنان الخلود قد جئت يوما
اغسل الذات من وحول الغرور
وسقطت الدنى اكفر عن الحي
وعسفي في خاليات العصور
ادفع الغل بالمحبة والبغضاء
بالحلم والسلام القرير
غاية النفس في الحياة نوال
الهدي ـ بعد الضلال ـ بالتفكير

الارجنتين	فائق جبور

التسامح الديني وصيغته الثلاثية في الشعر العربي الحديث

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

* * *

يحفل التاريخ العربي الاسلامي بامثلة جمة تدل على ما تميز به العربي المسلم من ميل الى التسامح وتجاوز الفروق الدينية في التعامل مع ابناء القوميات والاديان الاخرى ، كما تبين نهج عدد غير قليل من الحكام في الاستعانة بالمسيحيين واليهود في مجالات ادارية وعلمية مهمة . ولسنا نريد من ذلك اضفاء صفة مثالية على طبيعة العلاقات بين الاديان في الاطار العربي الاسلامي ومثالية العلاقات كانت ولا تزال حلما طوبائيا ـ اذ ان هنالك ـ بلا ريب ـ جوانب سلبية في سياسة بعض الحكام تجاه رعاياهم أعربا كانوا ام غير عرب ، مسلمين ام غير مسلمين ، غير ان الجوانب الايجابية في علاقات المسلمين مع المواطنين المسيحيين واليهود بلغت من الكثرة حدا يبرر لنا اتخاذها دلالة على التسامح العربي خاصة اذا قورنت بطبيعة العلاقات بين الأديان في النطاق الغربي خلال العصور الوسطى . وقد اعترف بذلك عدد غير قليل من كتاب الغرب انفسهم مسيحيين كانوا ام يهودا (١) .

واذا انتقلنا الى الفترة الحديثة للمسنا محاولات جادة لتجاوز الفروق الدينية في بناء المجتمع العربي ، واقامة العلاقات بين ابناء الاديان المختلفة على اسس من المساواة والعدل ، وكان الشعراء في طليعة الدعاة الى التسامح والتآخي منطلقين من مفاهيم متباينة تلهمهم في مسعاهم ، كمفهومهم للدين الاسلامي الذي يحث على احترام الاديان السماوية وحقوق اتباعها .

ومما لا شك فيه ان الادب المهجري اسهم اسهاما فعالا في ابراز فكرة التآخي الديني والتسامح كما تشهد بذلك كتابات جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني (٢) وغيرهم ، ولكنه لم يكن السباق او الوحيد في هذا المضار فقد ظهرت بوادر تعكس الفكرة ذاتها قبل تبلور الادب المهجري كما نلاحظ ذلك في كتابات فرنسيس مراش (١٨٣٦ ـ ١٨٧٣) ، وشعر شوقي ، كما اننا نجد صداها في شعر شعراء آخرين لم يتاثروا بالرافد المهجري ، وحسبنا ان نستشهد في هذا السياق بقول شوقي من قصيدته « الدستور العثماني » التي قالها عام ١٩٠٨ (٣) :

الدين لله من شاء الاله هدى   لكل نفس هو لي الدين داعيها
ما كان مختلف الاديان داعية   الى اختلاف البرايا او تعاديها
الكتب والرسل والاديان قاطبة   خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله اصل في مراشدها   وخشية الله اس في مبانيها
وكل خير يلقى في اوامرها   وكل شر يوقى في نواهيها
تسامح النفس معنى من مروءتها   بل المروءة في اسمى معانيها

وكان من الوسائل التي اكدت فكرة التآخي في الشعر ما يمكن تسميته « الصيغة الثلاثية » « Triangular motif » التي تجمع الاديان الثلاثة بالاشارة الى اسمائها ، او رسلها « موسى وعيسى ومحمد » او كتبها المقدسة « التوراة والانجيل والقرآن » او ممثليها من رجال الدين «الحاخام ، القسيس ، الامام (او الشيخ) » او معابدها « الكنيس ـ الكنيسة ـ الجامع » . ومن يدرس الشعر الحديث الذي قيل قبل تفاقم الخطر الصهيوني ، ـ حتى ما قبل الحرب العالمية الثانية ـ يلاحظ لونا من الإفتتان بهذه الصيغة ، لابراز فكرة التآخي الديني ، او الدعوة الى التسامح والتآلف ، وقد اتيح لي خلال قيامي باعداد دراسة عن « صورة اليهودي في الادب العربي الحديث قبل خلق اسرائيل »(٤) ان اقف على مجموعة من الامثلة التي تشير الى ذيوع الفكرة والصيغة في الشعر التقليدي اوالكلاسيكي الجديد كالنماذج التالية :

قال شوقي مخاطبا الخليفة العثماني محمد رشاد :

حمل الصليب اليك من فتيانه   جندا وقاتل دونك الحاخام

ولحافظ ابراهيم في « عيد الدستور العثماني » قوله :

تحالف في ظل الهلال امامه   وحاخامه بعد الخلاف وراهبه(٥)

ومن قصيدته في شؤون مصر السياسية مخاطبا اسماعيل صدقي :

دعا عليك الله في محرابه   الشيخ والقسيس والحاخام (٦)

وله قوله في مدح السلطان عبد الحميد (٧) :

يرعى لموسى والمسيح واحمد   حق الولاء وحرمة الاديان
فغدوا المواثق والعهود   على هدى التوراة والانجيل والقرآن

وتتسع الصيغة قليلا لتضم الشرق باضافة البوذية في قصيدته « تحية الشام » التي القاها في دمشق عام ١٩٢٩ :

متى ارى الشرق ادناه وابعده   عن مطمع الغرب فيه غير وسنان
تجري المودة في اعراقه طلقا   كجرية الماء في اثناء افنان
لا فرق ما بين بوذي يعيش به   ومسلم ويهودي ونصراني (٨)

ومن سوريا للشاعر البحاثة خير الدين الزركلي :

يكثر فينا معشر معشرا هم   على الحق والانسان قد يتبصر
دع الناس لا تبغ الذين تهودوا   بشر ولا تبغ الذين تنصروا
عجبت لامر الناس ابناء واحد   يفرقهم دين وجنس وعنصر (٩)

A.S. Tritton. The Caliphs and their non-Muslim Subjects. London : 1930

(١) انظر مثلا : وقد ترجمه الى العربية حسن حبشي بعنوان : اهل الذمة في الاسلام ط ٢ القاهرة ؛ ١٩٦٧ .

James Kritzeck Sons of Abraham.Baltimore : 1965

A.J.Arberry. ed. Religions in the Middle East . Vol.I Cambridge : 1969 pp. 119—225 . 239—296

Merlin Swartz. «The Position of Jews in Arab Lands following the Rise of Islam . » Muslim World . 60(1970) 6 — 24

ويعقد مؤتمر في الازهر عام ١٩١٩ يشارك فيه ممثلون عن مختلف الطوائف من مسلمين ومسيحيين ويهود فيجد فيه عدد من الشعراء منطلقا لترداد الدعوة الى التآخي ، وتجاوز تباين الاديان ، كما يوضح ذلك ما قاله محمد عبد الرزاق (١٠) :

ان في الازهر الشريف رجالا   جعلوا الحق ناصع البرهان
من كهول وفتية وشيوخ   ورجال من خيرة الشبان
ويهود ومسلمين وقبط   لم يفرهم تباين الاديان
قطعوا دابر التنابذ والحقد   وشر العداة والعدوان
ربطتهم عرى الوئام فاصحوا   في وفاق قاصيهم والداني
وتفانوا في حب مصر فاحيا   امل اليائسين هذا التفاني

وينحو المنحى ذاته شاعر قبطي « عوض واصف » في قوله مشيرا الى مصر :

ابناؤها المسيح واحمد   والموسوي وليس ثم دخيل
لا فرق بين العالمين وارضهم   وطن وحيد والجميع سليل (١١)

وفي العراق تتردد الدعوة الى توحيد الصف بعد تاسيس الحكم الوطني ، ونلمس صداها في الامثال التالية :

يقول كاظم الدجيلي :

ارى النجح باسم الاتفاق محققا   كما لا ينال النجح جمع تبددا
وكل حقوق في العراق صريحة   ولست ارى فيما اقول مفندا
فواجب هذا القطر اصبح شاملا   لاتباع موسى والمسيح واحمدا (١٢)

ويلجأ الى الصيغة ذاتها في معرض استنكاره التفرقة الدينية وما سببته للشرق من ضعف وتدهور :

لستم عن الهكم وكلاء   او حماة ولا له بجنود
فاتركوا الناس للذي عبدوه   فهو يجزيهم بيوم الوعيد
ان نجوا منكم فهم سعداء   من نصارى ومسلمين وهود (١٣)

ولجميل صدقي الزهاوي (١٨٨٣ — ١٩٣٦) عدة مواقف يشيد فيها بالتآخي الثلاثي ، او ضرورته لازدهار العراق ، كقوله في قصيدته « العروبة » :

متى تجمع الاديان في الارض وحدة   لها سنة مشروعة ونظام
ويسلك كل العالمين سبيلها   وقايتهم منها هدى وسلام
كانهم في العيش ابناء اسرة   كان بينهم اخوة وتؤام
بغداد منذ تاسست   عرفت بعاصمة السلام
عاش النصارى واليهود   ومسلموها في وئام
في وحدة عربية   ليست تهدد بانفصام
امم قد التامت جروح   في جوانحها دوامي
ولقد تعاهدنا على   حفظ المودة والذمام
تبني سعادتها الشعوب   على اتحاد وانضمام
لا خير في شعب يعيش   من التعاسة في انقسام (١٤)

وقوله :

سيكون العراق جنة قوم   ما بهم من مقت ولا ابغاض
وحدة الشعب احكمها الله   فليست خليقة بانتقاض
من نصارى ومسلمين وهود   كل حزب منهم عن الكل راضي (١٥)

وفي وقفته عند المستنصرية مستعيدا سالف مجدها :

كنت ينبوع حكمة للناس   تخذوا الحق صاحبا وخليلا
اعتدوا بالقرآن فاتبعوه   واجلوا التوراة والانجيلا (١٦)

وقوله في رثاء الملك فيصل الاول :

فيصل قد قضى ففي كل بيت   بالفراتين رنة وعويل
بعد ان بلغ الرسالة بالحق كما يفعل . . . .
فبكاه الفرقان حزنا عليه   وبكاه التوراة والانجيل (١٧)

ويستعمل هذه الصيغة الثلاثية في سياق مختلف يرى فيه الناس متمادين في ضلالهم بالرغم مما انطوت عليه الاديان من خير وهداية :

ما اراد القرآن الا هداهم   وكذلك التوراة والانجيل
الراهم ثابوا الى الرشد ، كلا   ثم كلا ما ثاب الا القليل (١٨)

ومحمد رضا الشبيبي يصرح بما سنته الديانات من سنن لهداية الناس ، ونهج يخفف البلاء عنهم قائلا :

فلم ار مثل الشارعين ديانة   اشع اساريرا واكرم خيما
يسنون سهلا للهداية واضحا   ونهجا لتخفيف البلاء قويما
اما خلف البلوى (محمد) هاديا   و(عيسى) و(موسى) داعيا وحكيما (١٩)

هذه نماذج محدودة مما يحفل به الشعر الحديث من امثلة كثيرة تكشف عما يتسم به العربي من نزوع الى التسامح والتفتح ، وتوضح ظاهرة استعمال « الصيغة الثلاثية » كوسيلة للاشادة بالتآخي الديني ، والدعوة الى المساواة بين ابناء الاديان المختلفة .

جامعة انديانا — الولايات المتحدة   صالح جواد الطعمة

---

(٢) لاحظ قول الريحاني المشهور « كلنا ندين بدين التوحيد ، كلنا نوحد الله ولا نرجع في النهاية الى سواه ، نحن ابناء الاديان التوحيدية ، وما موسى وعيسى ومحمد غير رسل الاله الواحد ، فاذا كان الهنا واحدا ولساننا واحدا وبلادنا في سهولها وجبالها وصحاريها واحدة ، ومصالبنا السياسية كلها واحدة ، افلا ينبغي ان يكون الوطن كذلك واحدا فردا لا تقسيم فيه ولا تجزئة ! » كتابه : التطرف والاصلاح ط٣ : بيروت : ١٩٥٠ ص ٥٨ وقول جبران « احبك ساجدا في جامعك ، وراكعا في هيكلك ، ومصليا في كنيستك » . المجموعة الكاملة بيروت : ١٩٦١ ص ٢٣٧ .

(٣) الشوقيات . القاهرة : ب.ت . ٢٨٩/١ .

(٤) القيت الدراسة في حلقة القيمت في جامعة تكساس (اذار ١٩٧٥) عن صورة العربي وصورة اليهودي في الادبين اليهودي والعربي .

(٥) الديوان : القاهرة : ١٩٥٤ ٢/٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ص ٩٧ .

(٧) كامل جمعة : حافظ ابراهيم ما له وما عليه ط٢ القاهرة : ١٩٦٠ ص ١٦١ .

(٨) الديوان ١/٩٤ — ٩٥ .

(٩) عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر العاصر القاهرة : ١٩٦١ ص ١٤٨ .

(١٠) سعد الدين الجيزاوي . اصداء الدين في الشعر الحديث القاهرة : ب.ت. ص ٢٦٩ .

(١١) احمد محمد الحوفي . التراث الروحي والشعر الحديث القاهرة : ١٩٦٥ ص ١٤ .

(١٢) رفائيل بطي . الادب العصري في العراق العربي القاهرة : ١٩٢٣ .

(١٣) المصدر نفسه ٢٠٩/١ ٢١٤/١ . ويتطلع الشاعر في موضع اخر الى وحدة تشمل الارض من غير تفرقة او تمييز (المصدر نفسه ١٩٧/١) .

(١٤) ديوان الزهاوي بيروت : ١٩٧٢ ٣٠٩/١ .

(١٥) المصدر نفسه ٣١٠/١

(١٦) المصدر نفسه ١٥٩/١ .

(١٧) المصدر نفسه ٦٤٩/١

(١٨) هلال ناجي — الزهاوي وديوانه المفقود القاهرة : ١٩٦٣ ص ١٢٠

(١٩) ديوان الشبيبي — القاهرة : ١٩٤٠ ص ١١ .

ملايين تتلاشى

بقلم الياس قنصل

اجمعت القوانين المدنية على ان الجريمة التي يرتكبها المرء « عفوا » جزاؤها اخف من جزاء الجريمة التي يقدم عليها « عن سابق قصد وتصميم ». فاذا كان هذا ، توطيدا للعدالة وجب ان يكون قصاصي على تعاطي التجارة ، من النوع الذي يطير ان نفخت فيه فقد خضت غمراتها دون ان تخطر في بالي قبل ذلك ، او بعبارة اوضح اغمضت جفني والادب حرفتي ، ثم فتحتهما فاذا انا تاجر .

ان لتفاصيل هذه الاعجوبة مجالا غير هذا وانا اقتصر الان على سرد حادثة واحدة من الحوادث التي جرت معي . وفيها لمن يشاء عبرة .

لن اطيل الوصف فقد ملأت الدكان بالخزف والزجاج والفخار وشرعت افعل ما يفعله زملائي : اشتري بخمسة وابيع بستة او بخمسة ونصف او بالقيمة التي يدفعها الراغب ، وكنت هانئا بهذا التبادل ، اعتبر نفسي مسمارا صغيرا في الآلة الجبارة التي تحرك دولاب الحضارة والعمران ولكن الناس ـ والناس اصل العلل التي يعانيها الناس ـ لا يتركون احدا متسربلا بقميص الهناء ، بل يحاولون ان يرشدوه الى ان كم القميص مجعد او ان الزر مخلخل ، فيعمد هذا « الاحد » الى خلعها ، واصلاح ما فيها من النقص ، ومتى خلعها فقد ضل السبيل الى لبسها ثانية ، واصبح كسائر المخلوقات ، يبحث عن السعادة وهي بين يديه .

زارني نسيب من داخل البلاد ، وما نفض كفه من تحيتي حتى رنا الى ما في الدكان من البضاعة المنثورة هنا وهناك ، وقال :

ـ ما هي المدة التي مرت عليك وانت تاجر ؟

فاجبته :

ـ اكثر من سنة

فقال :

ـ وهل اجريت تقويما لتعرف مقدار الربح ؟

فقلبت شفتي استغرابا اذ كان السؤال فجائيا ، فحدقت الى نسيبي وسألته :

ـ اي تقويم تعني

فاجاب :

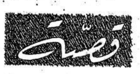
ـ من واجبات التاجر ان يحسب في آخر السنة ، ما له وما عليه ، فان كان قد ربح واظب على العمل ، والا اتخذ الاحتياطات اللازمة لتعويض الخسارة .

فقلت :

ـ هذه بدعة جديدة ، لم يخبرني عنها مخبر ، ما اصفى نيتي حين ظننت ان التجارة سهلة . ويستدل من كلامك ان فيها مشاكل كغيرها من الاعمال

ثم خلوت الى نفسي ، وقلت :

ـ ايكون نسيبي صادقا ؟ الربح والخسارة وهل يمكن ان اخسر مع اني اشتغل النهار كله ؟ وكيف يتسنى لي تمييز الخسارة من الربح اذا اجريت التقويم الذي اوصاني به ؟ بل كيف اجري التقويم ؟ لا انكر اني تعلمت في مدرسة ممتازة ، وكنت اذكى التلامذة فيها غير ان ذكائي كان يتناول كل بند من العلوم ما عدا الحساب ، اذ كنت اكرهه ، واتهرب



منه ، وكانت الارقام تبدو لي كانها مشانق تنتظر رقبتي . وها انا الان مضطر اليها . كلا لماذا الاضطرار ؟ القي كلام نسيبي في سلة المهملات ، وان الله يحب المحسنين .

على ان فكرة الشر اغلب دائما من فكرة الخير ، فما كدت اقرر البقاء على ما انا عليه حتى عادت نفسي ، او شيء اشبه ما يكون بنفسي ، لتقول لي :

ـ قد تكون الخسارة ملء محلك التجاري ، وانت لاه ، ولست باول تاجر ينخدع ، والمثل الدارج يقول « من نصف الطريق ولا من آخره » . عليك بالتقويم فانه من سنن التجارة . الم تر ان بعض الجرائد والمجلات تصدر في اواخر السنوات تقاويم ؟

واسعفني الحظ ، فذكرت اسم صديق لي احرز شهادة « مسك الدفاتر » منذ مدة قريبة ، ولي عليه دالة يرجع عهدها الى ايام كنت صحافيا .. وفتحت رقم الهاتف على مكتبه ، وعرضت عليه القضية ، فلم يخيب ظني به ، وعين النهار الذي يبدأ اثناءه بعملية التقويم ، واستبشر خيرا بمستقبله ، فانا ـ كما افادني ـ اول من يستفتحه في حرفته .

واعلنت اقفال المحل للسبب المذكور وقدم الرجل ـ ماسك الدفاتر ـ فطلب عدة اقلام : كل قلم له لون يختلف عن رفيقه ، ودفاتر مخصصة منها العريض الطويل الذي تحار اين تضعه ومنها ما يمكن دسه في جيب الصدارة ، ومماحي منها القاسية التي لا تقضمها اللازمة ومنها الرخصة التي تلتوي بين اصابعك كالعجين .

وكدست امامه هذه الاشياء التي كلفتني مبلغا كبيرا من المال .

واستهل عمله .

فكان يسالني عن ثمن الطنجرة مثلا فاجيبه فيسترخصه او يستغليه ، ثم يكب على احد الدفاتر ، فيضع رقما او اكثر ، ثم يعود فيسالني عن راسمالي قديما وعن ديوني وعن امتعتي وعن لون حذائي وعن عمري

وعن غير ذلك ، ويدونه كله في الدفتر.

وكان كل خمس دقائق تقريبا ، يطلب فترة استراحة تدوم من نصف الساعة الى الساعة يرتشف فيها القهوة او الشاي او ما اقدمه له من المرطبات والحلويات . وهل يسعني عدم تكريمه وحياتي المالية بين يديه؟

وانتهى من عمله ، في الدكان ، بعد اسبوعين ، فاخبرني انه محتاج الى رخصة متواصلة شهرا كاملا ليستطيع ان يصفي الحساب ويطلعني على خلاصته .

ولبثت انتظر افول الشهر على احر من الجمر ، وانا اصلي واصوم لكي تثبت البركة في الحساب .

والله ــ الخالق الاديان ــ كريم يساعد خائفيه ، فقد تشرفت اخيرا بزيارته ــ بزيارة ماسك الدفاتر ــ وعلى وجهه آيات السرور والارتياح واعلن النتيجة :

لقد ربح المحل ــ محلي ــ في سنته الاولى ثلاثة ملايين وستمائة الف ريال

قال هذا ، وبسط امامي اوراقا عديدة مثقلة بالارقام والخطوط والعلامات والدوائر والصلبان حسبتها لاول وهلة خارطة البلدان الاوروبية، وأخذ يبين لي الجهود الجبارة التي بذلها حتى تمكن من التوصل الى تحديد المبلغ الذي ربحته في تجارتي.

ثم لف الاوراق ، وبسط مكانها كفه مهنئا اياي على هذا النجاح الباهر ، فشكرت عواطفه ، وسألته عن بدل اتعابه ، فاديتها له بطيبة خاطر .

وعاد النسيب المذكور آنفا الى زيارتي في اليوم التالي ، فاطلعته بدوري على صورة الارباح التي اكد لي الحاسب اني ربحتها ، فصاح بي:

ــ امجنون انت ؟ اين المبلغ ؟

ولم اكن قد انتبهت الى هذا الامر البسيط ، صحيح اين المبلغ الفخم هذا ! ليس لي في اي بنك اي رصيد، ولا لي ديون على الناس ، وجميع راسمالي هذه البضاعة القليلة السريعة العطب وهي لا تكفي لتجهيز عشاء لعشرة ضيوف لو زاروني ، ابن الثلاثة ملايين ونيف من الريالات؟ اين؟

واستولى علي صمت طويل

وقال النسيب :

ــ اقفل باب المحل ، وانا سأجري التقويم

فقلت له :

ــ كيف تستطيع ذلك وليس لديك شهادة مسك دفاتر ؟

فاجاب بغضب :

اقفل باب المحل

فاذعنت للامر

وما هي الا ساعة حتى اكمل عمله، ثم حسب دقائق معدودة ، وقال :

ان ارباح المحل في هذه السنة هي اربعمائة وخمسون ريالا ، ادع صاحبك ماسك الدفاتر لأجلو له خطاه

وجاء صاحبي، فسأله نسيبي فورا:

ــ كيف حسبت ارباح المحل حتى كانت ملايين

فاجاب :

اني اتبعت التعليمات الموجودة في كتب الحساب كما تلقنت في المدرسة

فتناول النسيب الاوراق التي سجل عليها هو الارقام ، وراح يشرح لصاحب الشهادة ، الكيفية التي تظهر فيها الارباح مضبوطة

وقال ماسك الدفاتر :

ــ انت على حق ، فلا يمكن ان تكون الارباح ــ القيمة الهائلة التي اعلنت عنها . ان حسابك اضبط من حسابي وربح المحل هو اربعمائة وخمسون ريالا . وسأستعمل منذ الان طريقتك في التقويم فهي اسرع واصح

ثم خفض صوته ، وسأله بلهجة الخجلان :

ــ في اية مدرسة تعلمت هذه الطريقة الحسابية السهلة الدقيقة ؟

ــ في مدرسة تدعى مدرسة الحياة على يد استاذ اسمه الاختبار ..

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

هي والتمثال

« كنت مشغولا بالتطلع الى تمثال جميل لسيدة جميلة مقام في حديقة انطونيادس بالاسكندرية حينما اقبلت فتاة حسناء ووقفت بجوار التمثال وكأنها تقول لي ... »

انظر الـي ودميـة التمثال — شتان بين جمالها وجمالي
الها اذا طلع الصباح وضاءتي — واذا اطل الليل سحر دلالي
الها حناني اذ ابث عواطفي — الها عذوبة رنوتي وسؤالي
هذي الحياة بسحرها وفتونها — أترى نضارتها على الصلصال
ما انت الا مغمض عينيك عن — نور الحقيقة قانع بخيال
هذا الجمال الحي لا تعدل به — صنما ولا تطلبه من مثال
فالروح سر الحسن لن يرقى له — مهما يحاول ، صانع التمثال

الاسكندرية — عبد العليم القباني



محمد عبد الغني حسن

محمد عبد الغني حسن من خلال شعره

بقلم جعفر الخليلي

• • •

في اللغة العراقية الدارجة ، مثل له نظائر في العربية الفصيحة ، وفي اللغات العامية الاخرى ومضمونه (ان الكف الواحدة لا تستطيع ان تمسك برمانتين في آن واحد) وقد اصبح هذا المثل قاعدة عامة قل الذين يخرمونها فيمسكون بضع رمانات في كف واحدة من الموهوبين ، وقد كان محمد عبد الغني حسن من هذه القلة ، فهو فضلا عن كونه من الباحثين المتتبعين ، والمحققين اللامعين ، الذين كان لآثارهم التاريخية ، ودراساتهم الواسعة للاعلام من اهل العلم والمعرفة والادب ـ اثر احسبه جد كبير في عالم الترجمة ، والتحقيق ، واستعراض الحوادث واستنباط الفكرة الخبيئة بين ثناياها ، فقد وضع محمد عبد الغني حسن طائفة من الكتب النافعة التي سد بها الفراغ الحاصل في كثير من النواحي التاريخية والادبية ، وان كتبه اليوم لا يستغني عنها الباحثون وطلاب المعرفة في دراساتهم وبحوثهم .

اقول فهو فضلا عن كل ذلك ـ وان ذلك لكثير ـ فانه شاعر مبدع ، وميزته هي ان يأتيه الشعر عفو الخاطر ، فيه الشيء الكثير من النكهة الفكرية ، والشيء الكثير من الانسجام والبراعة ، وعندي ان شعره مرآة صادقة لما اصطلح عليه وسمي بالسهل الممتنع ، كلمات مشرقة عذبة ، لا يستطيع التعقيد ان يجد له منفذا اليها ، وقواف موسيقية من الصعب ان تتغير باحسن منها ، ووضوح في القصد يضفي على الشعر جاذبية تشد القارىء اليه وتبهره ، وابتكارات فنية قلما خلت قصيدة من قصائده منها ، وهي صفات ادركت جريدة الاهرام قيمتها فاعترت بشاعريته واطلقت عليه اسم شاعر الاهرام ، منسوبا لها ، وليس لاهرام الجيزة التي ربما احتاجت النسبة لها الى شيء غير قليل من التعليل والتوجيه ليخلص شعر شاعر اهرام الجيزة من طابع القدم والجمود على حالة واحدة ؛ بخلاف شاعر النيل ، وشاعر القطرين ، وشاعر الشباب ، وشاعر الاهرام الجديدة .

وعلى اني اعتقد ان هذه الدماثة من الخلق ، وطهارة النفس والمحبة التي اتصف بها محمد عبد الغني هي وليدة نشأته من ابوين كريمين كان لهما شأن كبير في بناء هذا القلب الكبير ، والنفس الكريمة ، فاني لا ابخس الشعر حقه في تلطيف المزاج ، ورقة الشعور ، ورهافة الحس ، ولقد نال محمد عبد الغني من الشعر نصيبا وافرا ، وعرف بنفسه قيمة الشعر في بناء المجتمع ، وتأثيره في النفوس ، فاشار الى ذلك في مواقع كثيرة من مجموعته الشعرية الاخيرة « سائر على الدرب » التي قامت بطبعها وزارة الثقافة المصرية ، فهو يقول عن الشعر واثره في النفس :

ذلك الجبار من بدلـه ... لين العطف ، ومن ذا غيره
انه الشعر الذي بدلـه ... انه الشعر الذي قد سحره
واحال الجدب منه جنة ... ذات حسن ورياضا نضره
تجد النفس به ما تشتهي ... وترى العين به ما لم تره

ويحسن كثيرا في لفت الانظار في « سائر على الدرب » الى قيمة الشعر في وجود الانسان واهميته في دنيا الانسانية فيقول :

انما الشعر قبسة وائتلاق ... من ضياء فكيف يفنى الضياء ؟

ويقول :

والشعر مذ كان يا صديقي ... مضمد الجرح في القلوب

وهو بعد ذلك يفتخر ان يكون فرعا من تلك الدوحة الباسقة الفينانة ، دوحة الشعر الوارفة الظل ، الخضراء طوال المواسم ، المثقلة بالذ الاثمار واطيبها منذ ان نجم عودها من التراب حتى اليوم ، فهي كالشمس تعطي ولا ينفد عطاؤها فيقول :

انني فرع بتلك الشجره ... وهي فينا دوحة مزدهره
دوحة الفكر التي تربطنا ... بقضايا حرة مبتكره
دوحة الشعر التي تحكي لنا ... عن ابولو كل يوم مأثره

ويقول :

شغلت بالنثر عنكم غير ان فمي ... يبوح بالشعر من عام الى عام
فالشعر تكفير نفس عن خطيئتها ... وفيه تضميدها عن جرحها الدامي

وانا من القائلين بان آثار الاديب شعرا او نثرا لا تكفي في الغالب ان تكون مرآة صادقة لما جبل عليه الاديب من

خلق ، وما يحمل من مثل وصفات ، فقد ياتي شعر الشاعر بمبناه ومعناه آية من اسمى ايات المحبه والصدق والامانة في حين يكون هذا الشاعر في واقعه في الدرك من الانانية، والكذب والخيانة .

ويجيء محمد عبد الغني حسن من غير ذلك النمط الغالب عند من يعرفه عن كثب ، ويكون من اولئك الذين يكفيك شعرهم تعريفا بنبلهم ، ومحبتهم ، وصفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم ، كما هو واقعه المعروف دون اية زيادة او نقصان ، فهو يقول في « سائر على الدرب » :

ما اظلم الدنيا بغير محبة   ما اتعس الدنيا بلا احباب

ومن احسن من صور محمد عبد الغني حسن التصويرة الصادقة المعبرة عن واقعه الانساني في شعره كان شاعرنا الكبير المجدد جورج صيدح الذي يقول :

عبد الغني حسن ، ان كنت تهواه   اعطاك من فضله ما الله اعطاه
ظلا ، واطفا ، وشعرا ، لا كفاء له   السحر معناه ، والابداع مبناه

ومن هذه الصور الصادقة التي تعبر عن حقيقة محمد عبد الغني حسن قول الشاعر المرحوم علي الجندي فيه اذ يقول :

يا اجمل الناس ملفظا   واشرف الناس ملحظا
حفظت شعرك حبا   ومثل شعرك يحفظ
ما ان رأى الناس درا   من قبل دراك يلفظ

والحق انه لكذلك ، فهو من اجمل الناس ملفظا حتى لتستبعد ان يعثر قلمه او لسانه بكلمة مستهجنة . ولقدنمي الى الشاعر الكبير والصديق العزيز العوضي الوكيل بان محمد عبد الغني حسن يصفه بالهجاء فقال الوكيل على سبيل المزاح : اذن حق علي والله ان اهجونه ، وبلغ ذلك محمد عبد الغني فكتب له ينفي ما بلغه عنه لان لسانه لم يعتد ان يلفظ الكلمة النابية وكل ما يمكن ان يقول عن الوكيل هو هذا :

عوضي - اسرعت في عذلي ولست المتسرع
لم اقل انك هجاء   ولكن قلت مبدع
صفة الاقوال طبع   فيك والباقي تطبع
تصف الناس فيأتي   وصفك الصادق اروع
لم تزد في صورة الموصوف حتى قدر اصبع

وهو بعد هذا له من صفات العلماء الشيء الكثير من تواضع وتقبل للنقد ، والالتزام بقاعدة : مناظرك نظيرك فيقول عن ناقديه :

ايها الملمون بالنقد مكاني   كيف لا ينهض بالشكر بياني
اغفروا العجز بقولي ظاهرا   واغفروا العقدة تبدو في لساني
ان من ينقلني يرفعني ؟   باياديه الى اسمى مكان

ورقة شعور محمد الغني تبدو جلية في اخوانياته وفي مراثيه لاصدقائه وفي رسائله لمحبيه ، وهي رقة تنبعث من الاعماق خالصة لاتشوبها اية شائبة من المجاملات، يؤكد ذلك خطابه لاحد بنيه المهندسين المغتربين في قوله :

آه لو املك امري بيدي   كنت اطبقت عليك الحدقا

وفي استقباله لشاعر الانسانية جورج كعدي عند عودته الى لبنان بعد غياب طال امده في المهجر ، اذ ذهب الكعدي شابا وعاد شيخا محدودب الظهر ، اقول ففي استقباله لجورج كعدي مزج شاعرنا عاطفته بعواطف آل كعدي واحبابهم واصدقائهم بل وبطبيعة بلادهم المرحبة بهذه العودة ، وقال يخاطب كعدي :

تهش اليك عيون الربى   تحيي صباحك والمغربا
تبثك من حبها ما بدا   ومن حر اشواقها ما اختبا

الى ان قال :

وتنكره بنت جيرانه   وقد لمحت راسه الاشيبا
تقول له حطمتك السنون   واحنين ظهرك فاحدودبا

وعلى رغم ما فعلت بكعدي سنين الغربة ، وغيرت من شكله - دون روحه طبعا - فان القرية لم تضيعه ، ولم تنسه وفي ذلك يتمم محمد عبد الغني ابياته فيقول :

يصافحه النبع حلوا كما   تقول السواقي له مرحبا

وفي كل ما يصور محمد عبد الغني في شعره يضع الصورة في اطارها الخاص بها بحيث لو اردت ان تحذف اسم صاحب الصورة لدلتك خطوطها والوانها الصارخة على صاحبها وان لم يكن لك به سابق معرفة عن كثب ، وان بين صور هذا الشاعر وعلى الاخص مراثيه صورا للموسيقيين كسامي الشوا امير الكمنجة ، والممثلين المسرحيين كنجيب الريحاني ، ولائمة الفقه والاصلاح كالامام محمد عبده ، وللعالم الباحث كعادل زعيتر ، وللعسكري المقدام كوجدي ناجي ، وعشرات من طبقات مختلفة التي صورها الشاعر بواقعها وحقيقتها تصويرة فنية صادقة ، فهو حين يرثي الكاتب الكبير نظير زيتون لا ينسى ان يشير اليه كقدوة للتسجيعة الحلوة الجميلة التي حببت للكثيرين التسجيع في النثر ما دام التسجيع يجري على السجية بعيدا عما عرف به من التعقيد والتقيد، وان السجعة اليوم في رسائل الكاتب الكبير وديع فلسطين ليشد القارىء اليها شدا ، وتجذبه بحلاوتها جذبا ما دامت تجيء بلا تكلف وبغير التزام .

يقول محمد عبد الغني في رثاء نظير زيتون الذي اعاد السجعة في النثر من جديد وحببها للنفوس بعد ان قضى عليها العصر الاخير :

يا معيد السجع من ديواننا   بعدما قلنا على السجع العفاء
انت شنفت به آذاننا   فتلفتنا جميعا للوراء
نسمع الماضي الذي كان لنا   فيه امجاد ، وفخر ، وعلاء

وقد والله كان زيتون كذلك حتى كاد يحيي السجع في الكتابة من جديد .

وفي تصويره لصاحب مجلة « الاديب » المجاهد ، المثابر ، الذي افنى زهرة عمره في خدمة الادب ، لا يتعدى الشاعر حدود الواقع في دأب الاستاذ البير اديب ، وكفاحه وصبره على البلوى ، والاستاذ البير اليوم في العقد السابع ولا يزال كما كان في العقد الرابع وما قبله : شعلة متقدة ، وحزما غير مفلول ، وقناعة تجاوزت الحدود ، وهذا الشاعر اعني محمد عبد الغني حسن ، حين يمر به لا يضعه الا في مكانه ، ولا يصفه الا بما فيه اذ يقول :

اليه مع اطيب التمنيات

*

اذا ما قرأت كتيب شعر رماه ببابك ساعي البريد
ورافقت كل القصائد فيه وصرت لابياتها تستعيد
ورحت تجوب عوالم سحر عصي المنال بعيد بعيد
وكانت حروفي شراعا يطوف ويسكب فيك شعورا جديد
ستوقظ هذي الحكايا شكوكا بانك لست بقلبي وحيد

انا يا صديقي حياتي حنين ووجد مقيم وشوق معاند
اعيش الحكايا واكتب عنها واصطاد في كل يوم طرائد
فيوما تكون حكاية شعب ويوما حكاية قلب مكابد
ولكن حين دفاتر شعري تضاء شموعا بجوف المعابد
ستعلم ان قصائدي فيك تبقى مدى العمر احلى القصائد

دمشق سلافة العامري

ايها المالىء برديك اصطبارا كيف لم تياس مع الشمس مدارا
تقطع الايام فكرا سائرا وتشق الكون هديا ومنارا
ما خبا ضوؤك ليلا واحدا اودنا شاوك بالسعي نهارا

الى ان يقول :

راضي النفس بادنى لقمة لم يرد جاها ولم يطلب نضارا

وهذه القصيدة من خيار الشعر .

ومن خيار شعره ايضا القصيدة المعنونة « بالحسن الملفوف بالدخان » وهو يحكي فيها ضياع الحسن عند فتاة جميلة تدخن السيجارة فتشوه جمالها بالسحب التي يلفها به الدخان ، ولقد سبق لحليم دموس ان قال شيئا في استنكاره لتدخين المراة ولكنه لم يقل اكثر من هذا البيت :

كل ما تفعلين حلو ولكن غير حلو تدخينك السيجارة

اما عبد الغني فبعد ان يصف جمال هذه الفتاة ويطري حسنها وذكاءها يقول في بعض ما يقول :

رقيقة كالزهرة الزهراء ما بالها تلتف بالهباء
في سترة كثيفة كدراء اشبه بالملاءة الدكناء
قبيحة المراى بعين الرائي
هذا الدخان مشبه الضباب كانه بحر من السحاب
او جبل عال من التراب او هالة حالكة الاهاب

الى ان يقول :

فكيف للسجين منه سترا بل كيف تحفرين منه قبرا
لتستري في ظلمتيه البدرا وتدفني في حفرتيه الزهرا

وبالاجمال فانك لتستشف من شعر محمد عبد الغني حسن وعلى الاخص من مجموعته الاخيرة « سائر على الدرب » سجايا ، واخلاقا ، ومثلا انسانية باهرة ، الى جانب هذا الشعر المعبر عن شعوره الصادق الذي ياتيه عفو الخاطر وبدون اي تكلف وعسر .

بغداد ــ كرادة مريم جعفر الخليلي



عبد الباسط يونس

ابو العيناء

شيخ الساخرين في الادب العربي

بقلم عبد الباسط يونس

قال عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان « كان من احفظ الناس ، وافصحهم لسانا ، وكان من ظرفاء العالم » .

وقال عنه الشابشتي في الديارات « كان حسن الكتابة ، بليغ الخطابة ، مليح الشعر ، طلق اللسان بالذم والاستبطاء ، سريع الجواب ، حاضر النادرة ، لا يقام له » .
وقال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد « كان من احفظ الناس ، وافصحهم لسانا واسرعهم جوابا . واحضرهم نادرة » .

تحدث عنه ياقوت الحموي في معجم الادباء فقال « كان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم ، آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب » .

وافرد ابو حيان التوحيدي صفحات من كتابه البصائر والذخائر ، خصها باخباره وحضور بديهته ، وذكائه الوقاد ؛ كما نقل في كتابيه مثالب الوزيرين والامتاع والموانسة صورا من نقده اللاذع وبراعته الفذة في مناقشاته ومطارحاته .

وحفلت صفحات زهر الاداب وكذلك جمع الجواهر للحصري القيرواني ، بالنوادر الفريدة ، والاجوبة المسكتة والنقد القارص ، الذى كان ابو العيناء فارس الميدان فيها خلال العصر الذي عاش فيه ، فقد كان عبقريا في سرعة جوابه ، لامعا في الرد القاسم على من يتعرض له . ووصفه قائلا « كان ابو العيناء احد الناس خاطرا ، واحضرهم نادرة واسرعهم جوابا ، وابلغهم خطابا » .

وذكره ابن النديم في الفهرست فقال « كان فصيحا بليغا حاضر الجواب سريع الاجابة شاعرا » .

هذا هو ابو العيناء الذي اراده الخليفة العباسي المتوكل ليكون جليسه قائلا له : لقد اردتك لمجالستي . فاجابه ابو العيناء : لا اطيق ذاك ، وما اقول ذلك جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ، ولكني محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الاشارة ، ويخفى عليه الايماء ، ويجوز علي ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض ، او بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم اميز بين هذين هلكت .

فقال المتوكل : صدقت ، ولكن تلزمنا .

ذكره العديد من الموسوعيين العرب . واجمعوا على انه من اذكى واظرف اهل زمانه (القرن الثالث الهجري) كتب عنه ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني ، والنويري في نهاية الارب ، والصفدي في نكت الهميان والوافي بالوفيات وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان والمسعودي في مروج الذهب .

كما جاء ذكره في دائرة المعارف الاسلامية . وترجمت له باطناب دائرة معارف البستاني (الطبعة الحديثة) وفي كل هذه المصادر والمراجع اجماع على تقدير ذكائه وفطنته. وحسبه نبوغا ان الوزير الاديب الصاحب بن عباد الف كتابا اسماه « اخبار ابي العيناء » ، كما ان ابن النديم ذكر في الفهرست ان « لابن طاهر كتاب شعر ابي العيناء نحوا من ثلاثين ورقة » .

من هو ابو العيناء

ابو عبد الله الضرير ، محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر ، مولى ابي جعفر المنصور . اصله من اليمامة ، ومولده بالاهواز ، ومنشؤه بالبصرة .

كانت ولادته بالاهواز سنة ١٩١ هـ ، ومنها انتقل الى البصرة حيث امضى فيها ما يقارب الاربعين سنة من عمره الذي تجاوز التسعين . كان في بداية حياته احول العين ثم عمي وقد تجاوز الاربعين .

قال الخطيب البغدادي « كان ضريرا يخضب بالحمرة خضابا ليس بالمشبع ، وكان فصيحا سريع الجواب قرات بخط ابي الحسن الدارقطني : مات ابو العيناء الضرير سنة اثنتين وثمانين ومائتين وكان خرج من بغداد يريد البصرة في سفينة فيها ثمانون نفسا ، فغرقت فما سلم منها غيره ، فلما صار الى البصرة مات » . وعن وفاته يذكر ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان انه انحدر من بغداد الى البصرة في زورق فيه ثمانون انسانا

فنرق الزورق فلم يتخلص احد ممن كان فيه غير ابي العيناء . تعلق بطرف الزورق فاخرج حيا فلما دخل البصرة مات .

حياته في البصرة

كانت البصرة في اوج مجدها حديثا ورواية وعلما وادبا عندما جاءها ابو العيناء . ففي مساجدها كانت تعقد حلقات الدرس يتولاها جهابذة العلم والادب ، وفي مربدها كان الادباء والشعراء يتطارحون الشعر ويتذاكرون ايام العرب. واساتذة ابي العيناء تخرجوا في حلقات مساجد البصرة وسوق المربد ، وكانوا بعدئذ اعلاما كل في ميدان اختصاصه ودراسته .

التحق ابو العيناء شابا ، وكان مبصرا بحلقات الدرس التي كان يعقدها ائمة الادب وشيوخه ، في المساجد والبيوت ، فاخذ عن الاصمعي ، والعتبي ، وابي عبيدة ، وابي زيد الانصاري وابي عاصم النبيل . وهم النجوم الزاهرة في سماء البصرة . وعلى هؤلاء تخرج . فكان حافظا ، نابها ، ذكي الفؤاد ، منصرفا الى العلم ، لا تفوته شاردة ولا تغرب عنه واردة ، بل امتاز على اقرانه وجلسائه بالنكتة اللاذعة ، والطرفة الساخرة ، والنقد الجارح ، باسلوب قوي متين وعبارات منسوجة لا يداخلها ضعف او وهن .

حفظ القرآن ، ودرس علومه ، واستوعب الاخبار والروايات فكان متقنا بارعا في سردها والتحدث بها . يتحدث عن نفسه فيقول : « اتيت عبد الله بن داود الخريبي فقال: ما جاء بك ؟ قلت الحديث ، قال : اذهب فتحفظ القرآن قال قلت : قد حفظت القرآن ، قال : (واتل عليهم نبأ نوح) قال فقرأت العشر حتى انفذته ، قال فقال لي : اذهب الان فتعلم الفرائض قال قلت قد تعلمت الصلب والجد والكبر . قال : فايما اقرب اليك ؟ ابن اخيك او ابن عمك ؟ قلت ابن اخي . قال : ولم ؟ قال قلت لان اخي من ابي وعمي من جدي . قال : اذهب الان فتعلم العربية، قال قلت علمتها قبل هذين . قال فلم قال عمر بن الخطاب - يعني حين طعن - يال الله يال المسلمين ، لم فتح تلك وكسر هذه ؟ قال قلت فتح تلك اللام على الدعاء وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار . قال فقال : لو حدثت احدا حدثتك » .

وحين كان يواظب على الدرس ، ويواصل تلقي علومه ، اطلقت عليه كنيته فقد ساله رجل : يا ابا عبد الله كيف كنيت ابا العيناء ؟ قال قلت : لابي سعيد ابن أوس الانصاري ، يا ابا زيد كيف تصغر عينا ؟ فقال : عيينا يا ابا العيناء ، فلحقت بي منذ ذاك .

بعد ان تجاوز ابو العيناء الاربعين من عمره بقليل اصيب بالعمى ، وكان قبل عماه احولا ، وقد وصف احمد بن ابي طاهر ، ابي العيناء في عماه فقال :

كنا نخاف من الزمان عليك الا عمي البصر
لم ندر انك بالعمى تغنى ويفتقر البشر

ابو العيناء في بغداد

بعد الاربعين قصد ابو العيناء بغداد وهو اشد ما يكون ثقة بنفسه علما وادبا ورواية ومقدرة في الكلام والمناظرة ، كل ذلك يدعمه ذكاء نادر وذهن وقاد وقابلية فذة في اطلاق الكلام المناسب في المحل المناسب .

كانت بغداد مدينة العلم وموطن العلماء والادباء والشعراء ، وحين وصلها ابو العيناء كان بلاط الخليفة المامون يضم اقطاب الفكر والعلم ، وفي مجالسه تتجلى عظمة العصر . ومن طريق الحسن بن سهل وزير المامون وصل ابو العيناء الى مجلس الخليفة العالم ، فلقي القبول والرضى والاهتمام واغدق عليه المامون العطاء .

كان عهد المامون هو بداية طريق الشهرة امام ابي العيناء ، وهو في رحبة الخلافة وظلها الظليل ، ولكن وفاة المامون ، في الوقت الذي وضع فيه ابو العيناء اول قدم له على سلم الشهرة ، تركت في نفسه الاسى فانطلق ينفث الحسران ، ويعلن حزنه والمه ولوعته على فقد الخليفة الذي فتح امامه ابواب المجد والشهرة .

مضت الايام وابو العيناء ينتظر الفرصة التي تفتح له الطريق للسير على الدرب الذي بدا السير فيه على عهد المامون . الى ان تولى الخلافة « المتوكل » فطلبه لمجالسته واراده لمنادمته ، وفي سامراء مدينة الخلافة وفي قصورها الفخمة وندواتها الحافلة بالادباء والشعراء والعلماء ، برز ابو العيناء ، فكان الفارس المجلى ، ونال من الشهرة والمجد ما تؤهله له المعيته وذكاؤه وقابليته النادرة في النقد والفكاهة والسخرية .

جليس الخليفة المتوكل

اجمع الرواة على ان ابا العيناء كان من ظرفاء العالم، وجاءت الاخبار التي سجلت عهد المتوكل على انه كان حافلا بالبذخ واللهو والطرب والمجون . وكانت قصوره في « سر من رأى » حافلة بالشعراء والظرفاء والادباء والرواة والمغنين فقد كان المتوكل ، سخيا باذلا سمحا ، يتمتع بخلق كريم ورحابة صدر ونفس مرحة تعشق الانس وترتاح الى مجالسة الشعراء وسماع الغناء ، فالبحتري شاعره ، والفتح بن خاقان وزيره وهمامن هما شهرة في الشعر والادب.

لقد وجد ابو العيناء في المتوكل الاحترام والتقدير والمحبة ، ولقي في رحابة صدره التشجيع فكان يطلق النكتة اللاذعة ، والطريفة الساخرة ، والجواب المسكت دون احجام او تلكؤ .

قال ابو العيناء عن لقائه بالمتوكل : لما ادخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته ، استحسن كلامي وقال بلغني ان فيك شرا ! فقلت يا امير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، فقد زكى الله تعالى

وذم فقال في التزكية (نعم العبد انه اواب) وقال في الذم (هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم) .

وقال الشاعر :

اذا انا لم امدح على الخير اهله ولم اذم العيس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والدني بطبع لا بتميز فقد صان الله عبدك من ذلك .

ووصل الى سمع ابي العيناء ان الخليفة المتوكل قال عنه : لولا انه ضرير لنادمناه فقال ابو العيناء : ان اعفاني من رؤية الاهلة ، وقراءة نقش الفصوص فانا اصلح للمنادمة .

ودخل ابو العيناء يوما على المتوكل فقال له : كيف كنت بعدي ؟ قال : في احوال مختلفة ، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك . فقال : قد والله اشتقتك . قال انما يشتاق العبد لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، واما السيد فمتى اراد عبده دعاه .

وقال المتوكل له : اكان ابوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو راى امير المؤمنين ابي لراى عبدا له لا يرضاني عبدا له .

بعض سخرياته اللاذعة

حفلت كتب الادب بطرائف ابي العيناء واقواله اللاذعة وهي بمجموعها تؤلف سفرا كبيرا ، نسال الله ان يوفقنا لطبعه، له نوادر مع الوزراء والادباء والشعراء والكتاب ، وفي جميع محاوراته ومناظراته نراه صاحب القدح المعلى ، الحائز على قصب السبق ، والمنتصر على مجادليه والمتعرضين له .

قيل لابي العيناء : هل بقي في دهرنا من يلقى ؟ قال نعم في البئر !

سال ابو العيناء صديقا له حاجة فدفعه عنها واعتذر اليه واعلمه انه قد صدقه . فقال له : والله لقد سرني صدقك لندور الصدق عندك . فمن يكون صدقه حرمان كيف يكون كذبه ؟

كان ابو العيناء ومحمد بن مكرم عند صديق لهما فقال ابن مكرم لصاحب الدار : اقوم الى الخلاء فقال ابو العيناء : اذا لا يعود الينا منك شيء .

وعرضت جارية على المتوكل فقال لابي العيناء : هذه عرضت على انها شاعرة فقل شيئا لتجيز . فقال ابو العيناء احمد الله كثيرا .

فقالت : حين انشاك ضريرا .

قال : يا امير المؤمنين قد احسنت في اساءتها .

ذم ابو العيناء رجلا فقال : له ضحك كالبكاء وتودد كالسباب ، ونوادر كندب الموتى .

وقال ابو العيناء : انا اول من اظهر العقوق لوالديه بالبصرة ، فقال لي ابي : يابني ان الله قرن طاعته بطاعتي فقال تعالى ، (ان اشكر لي ولوالديك) فقلت : يا ابة ان الله ائتمني عليك ولم يأتمنك علي فقال (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) .

قال احمد ابن ابي دواد لابي العيناء : ما اشد ما اصابك في ذهاب بصرك ؟ قال ابدا بالسلام ، وكنت احب ان اكون انا المبتدىء واحدث من لا يقبل على حديثي ولو رايته لما اقبل عليه . فقال له ابن ابي دواد : اما من بداك بالسلام فقد كافاته بجميل نيتك له ، ومن اعرض عن حديثك انما اكسب نفسه من سوء الادب اكثر مما نالك من سوء الاعراض .

ومن شعر قبل أن يصاب بالعمى وكان احولا :

حمدت الهي ان بلاني بحبها على حول يغني عن النظر الشزر
نظرت اليها والرقيب يظنني نظرت اليه فاسترحت من العذر

ومما يذكر عن بلاغته : قال ابن مكرم : من زعم ان ابو العيناء دون عبد الحميد في الكتابة اذا احسن بكرم فقد كذب . وذلك انه كتب الى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه واباه المعتمد وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكان من عقار واثاث وعبد وامة وكان لهما خادم اسود عرضاه للبيع فطلب بخمسين دينارا فكتب اليه ابو العيناء : وقد علمت – اطال الله بقاءك – ان الكريم المنكوب اجدى على الاحرار من اللئيم يزيد مع النعمة لؤما، ولا تزيد المحنةالكريم الا كرما. هذا متكل على رازقه . وهذا يسيء الظن بخالقه ، وعبدك الى ملك كافور الخادم فقير وثمنه على ما اتصل به يسير ، فان سمحت به فتلك منك عادتي وان امرت باخذ ثمنه فماله منك مادتي . ادام الله لنا ولك واستقبل بالنعمة نكبتك وادام عزك وكرامتك .

فوجه اليه بالخادم .

الموصل – العراق عبد الباسط يونس

كأس للفؤاد

★

صب من عينيك كاسا لفؤادي
كي يرى الكون ضياء كابتسامك
نبضه هام عن الشمس بسواد
لم يكن فيه سطوع لكلامك
ايها الهمس الذي احيا اعتقادي
قد تعريت على نهر ملامك

مراكش . آيت وارهام احمد بلحاج

الصقر والحية

محمد علي السنوسي

⊛

زخر البحر ذو العباب وحيا ... شاطئا حالما وافقا بهيا
وازرقاق السماء يضفي على ... الكون جمالا مهفهفا شاعريا
والسنا ذائب يشعشع في الموج ... رحيقا ويستثير حميا
وعلى صفحة الفضاء شعاع ... ابيض يسكب الصفاء نقيا

وهنا فوق صخرة تغسل الامواج ... اقدامها ، حنانا ، وحبا
يتهادى على جوانبها الرمل نخيلا ... وتمرح الارض ، عشبا
خفقت من نسائم الشرق انفاس ... تهز الوجود ، جسما ، وقلبا
اطفات جذوة الضمير وقد فارت ... وشقت لها الى الفكر دربا

نهض الصقر ، والسماء حواليه ... سحابا ، وبارقا ، وشعاعا
جذبته الى السماء معانيها ... فلبى نداءها ، واطاعا
ومضى كلما تمادى به الافق ... اتساعا ، سمى اليه اندفاعا
نبضت في فؤاده نشوة الحب ... فجلى علا ، وحام ، ارتفاعا

طائر تزدهيه اطلالة الفجر ... ويهفو بقلبه الاشراق
غمرت روحه الاشعة والاضواء ... والنيرات والافاق
ابدا يطلب السمو ويعلوا ... للمعالي جناحه الخفاق
عشق الشمس واستبدت به الشهب والوت بنفسه الاشواق

بسط الطائر العظيم جناحيه ... وهوى فؤاده المحموما
ورنا يكرع الضياء بعينيه ... ويلهو مدوما مستقيما
يرشف الحب والسلام كؤوسا ... ويناجي من النسيم نديما
فاذا طلقة تطوح بالصقر ... جريحا يئن منها اليما

فزع الصقر حين مس ثرى ... الارض جناحيه ، وانتخى وتعالى
ومضى زاحفا يجر جناحا طالما ... روع الطيور ، صيالا
لم يدنس اديمه وحل الطين ... غلابا . ولم ينفض رمالا
فاذا (حية تطل عليه) ... ثم تطوى الى مداه ، حبالا

زحفت نحوه فمد اليها ... نظرا نافذا ، وروحا قويا
فتهاوت على التراب وقالت ... انني انشد اللقاء الحفيا
افترضى ؟ بان اطارحك القول ... سميرا وان اكون .. نجيا
انت عن هذه الديار غريب ... يا صديقي فضع يدا في يديا

واستفاض الحديث بين الصديقين   زلالا ، تصب منـه النفوس
حين قالت من اي ارض ومن اي   مكان هـذا الجمال النفيس
كيف لم نهتـد اليه ولم تخطر بـه   فكـرة علينـا الـرؤوس
قـال اني من عالم النور ، يا اخت   وداري ، نجومـه والشموس

انـا لا اعرف التراب ، ولا الطـين   ولا ضمنـي من الارض جحـر
انا من عالم يعيـش ويحيـا   في سماء لهـا صفاء وطهـر
لا غبـار ، يلـوح في جوها الصافي   شقـاء ولا دخـان ، وغـدر
وهي كـون من الطلاقة والاشراق   والبشـر ، بـل خيـال وشعر

في شمـوخ الجبـال رف جناحي   ومن نبتهـا النضير غذيـت
وعلى قمـة ، هنـالك ، شماء   ترعرعت فـوقهـا وربيـت
رشفـت مهجتـي الشـنابيب   والانداء ، حتى تضلعـت وانتشيت
اين مني سنـا تفجر في نفسـي   والافـق من حسنـه ما ارتويت

وشكـى حسـرة يؤججهـا العجز   وضعفـا يذكى لظـاه الجـراح
ورمـى طرفـه الى الافق اسيان   وقـد هيـض ريشـه والجنـاح
ثمت استجمع القوى يرمق الجو   وقد لاح في رؤاه الصبـاح
زف في قـوة واهوى الى البحر   غريقـا تبكي عليه الريـاح

شـاقت الحيـة الاحـاديث   حتى لمعت في لحاظها الاطماع
واسرت عزيمـة تقصم الظهـر   وتعيـا بحملهـا الاضـلاع
جمعـت نفسهـا انطواء وهمت   واشرابـت وسرهـا الاندفـاع
وثبت ، وثبة البروق ، فردتهـا   الى الارض ، شيمة ، وطبـاع

وهوت تفحـص التراب وتهتـز   على قـامـه مـن الرجفان
وعلى حفـرة هنـالك القـت   جسمهـا في حقـارة ، وهـوان
نضنضت والتوت ومالت ودست   راسهـا في رطوبة الاطيـان
واستفاقت مما عراهـا فقـالت   تلك عقـبى خرافـة الطيـران

لا ، ليسـت السمـاء لصـل   زاحـف في الظـلام والادغـال
انـت لم تخلقـي لاشراقة الجـو   ولا روعـة الـذرى ، والجبـال
ولكـل حيـاته يا رقيطـاء   فـلا تهرمـي بسخـف المقال
تلـك عقبـى تمرد الطبع والنفس   واسرافهـا وسـوء الخـلال

واستمـرت أنشـودة الصـقر تنسـاب بالحـانها على الاكوان
يطـرب النفـس وقعها وتثير الفكر اصـداؤهـا وتحي الامـان
في تلاحينهـا من السحر الوان   ومن فتنـة الجمـال معـان
نغـم سـاحر الصـدى ونشيـد   من صميـم الشعـور ، والوجدان

جازان ـ السعودية   محمد علي السنـوسي

قصة

العقـدة

بقلم محمد حسين عبد المجيد

امست القرية مستسلمة لرياح الشتاء الباردة ، غارقة في صمت ليل الطويل .. بينما يلوح على الطريق شبح لجندي عائد من الحرب ، يدب بحذائه الضخم ، ليبدد وحشة الطريق الذي تحف به الاشجار والمزارع على الجانبين ، فتزيد من ظلمته ورهبته ..

وعلى مقربة من دار ـ بدت كئيبة ، جهمة ـ توقف ، وقد نازعته النفس في ان يعرج اليها ، ليقضي ليلته بها ... وامتدت يده ، فتحسس حزامه ، حيث يخفي ـ تحته ـ المكافأة السخية ، التي نالها ، لابلائه بلاءا حسنا في تلك الحرب ...

ولشد ما تردد قبل اعتزامه المبيت في دار خالته تلك ، وذلك للقطيعة التي بين الاختين ... ولكن ، لمشقة الطريق ـ ولطول المسافة التي يتعين على الجندي ان يقطعها ليبلغ داره ، ولخوفه على حياته اذا ما تصدى له اللصوص للاستيلاء على ما معه من مال ـ قرر المبيت ... ولعل ذلك ـ ايضا ـ يعيد المياه الى مجاريها بين الاختين ...

دنا من الباب ، وطرقه ... ولحسن الحظ ان الكلاب كانت هاجعة في اوجارها ، فلم يتعرض لنباحها ..!

فتحت له الخالة ، بعد ان كادت تنكره ... ولعل الزي العسكري هو ـ الشيء ـ الوحيد الذي جعلها تفسح له الطريق ..! فقد كانت تتمنى ان يقع في يدها جندي ، يكون عائدا من حرب اليمن ... على انها احست بخيبة الامل ... اذ انها لم تفتح لجندي عابر قصد المبيت ... جندي لا يمت اليها بصلة ... فقد استبعدت ان يكون ابن اختها عائدا من اليمن ، لانها ترى فيه عدم الكفاءة ، حتى ولو لادارة قطعة ارض ...

ولم يلحظ الجندي ما اعترى خالته من اكتئاب ، وهي تخطو امامه بالمصباح ، بينما يغطيه ظلها الهائل ، الذي راحت تجره وراءها ، فبدت له كشبح الموت ...!

جلس الجندي على الفراش ، واسند ظهره على حشية طرية . والخالة تتامله ، كما لو كانت لم تره من قبل قط ... كانت في عينيها لهفة ، يكتنفها الغموض ... غموض لم يلحظه الجندي ، الذي اخرج مذياعا صغيرا من جيبه ، واداره على اغنية توقع ان تكون مرحة ...

ـ لقد دب الشيب في راسك ... ابهذه السرعة صرت رجلا يا ابن اختي ..!؟

ـ هذا من هول الحرب يا خالتي ..!

ـ آه ... كنت اتوقع ذلك ..! اذن انت قادم من هناك ..! راسا ..! اليس كذلك ...؟ الم تذهب الى امك بعد ..؟ لقد فعلت خيرا بانتوائك المبيت عندنا الليلة ...

واشرق وجهها ... وسال لعابها ، عندما عرفت قيمة المكافاة التي يحملها الجندي مما جعلها تصيح منادية ابنتها التي اقبلت بسرعة لم تتوقعها الام ، ولا الجندي الذي الفاها فتاة هيفاء ، محلولة الشعر ، متهدلته ... كانت نائمة ، فاستيقظت على صوت المذياع ... وقبل ان تصافح ابن خالتها ، تصدت لها امها ، ودفعتها قائلة :

ـ احضري زوجا من الدجاج ، واذبحيه ... الا يليق الاحتفال بجندي غال بالنسبة لنا ..؟ يا لصدري المنشرح ..

ـ يا الهي .. اني لاشعر بانقباض ...

فاه الجندي بعبارته تلك بصوت عال .. فقد خرجت منه تلقائيا .

ـ لا عليك .. ان ذلك من مشقة الطريق ... ثم لن تلبث ان تستريح ما ان تاوي الى الفراش .. انه نائم ، يشعر بوعكة .. هه ..؟ احسن دجاجتين عندك يا سكينة ..

وتمنت لو كان ابنها قد بلغ سن الجندية ، وكان قد ذهب الى تلك الحرب ، حيث يعود اليها بمثل ما مع ابن اختها من مال ، بل انصتت الى ما يعوي في اعماقها ، من ان ابنها لو مات هناك لامكنها الحصول على مكافاة اسخى ، واكبر بكثير ..

وما ان ترددت فكرة الموت في ذهنها حتى دلفت الى احد الاروقة ، ثم اخذت تذرعه طولا وعرضا ، منقبة هنا ، متفحصة هناك .. تنصت تارة الى شيطانها .. وتخاطبه اخرى ...

ـ آه .. وعرفت الراديو بابن الكلبة ...

كانت نهبا لتيار جارف من الحقد الدفين ، مستسلمة لوحش جائع ، طفر ـ فجاة ـ من قفار اعماقها المظلمة ، فركزت عينيها على صدع في الجدار ، ثم دفعت يدها اليه ، وسحبت جرابا من القماش السميك ، اخرجت منه سكينا حاد النصل ، واختبرته ، ثم ردته مع الجراب الى مكانه ، وهتفت مخاطبة نفسها :

ـ كنت انتظر جنديا عابرا ... ولكن ساقتك الاقدار الي ، يا ابن اختي ، ما باليد حيلة .. ولعل ذلك تكفيرا عما ارتكبته امك في حقي ..

ودلفت الى الفراش ، حيث رقد ابنها .. وعقدت خيطا حول ابهام رجله اليمنى ، ثم خرجت متهللة ...

واحضر العشاء ... فتحسست الخالة بطنها ، وقالت انها تشعر بالجوع ، رغم انها تناولت عشاءها.. وستاكل مع ابن اختها بنهم ...

ــ ابن سكينة ..؟ هل هي خجلة مني ..!؟

ــ لا ... بل ذهبت ، لتنام ..

وحاطبت نفسها قائلة :

ــ انك لا تستحق مجرد نظرة منها يا ابن القابلة ، التي لم تطاوعني على قتل الجنين قبل ان ينزل من احشاء زوجة ابن عمي ... لشد ما يؤذيني ان ارى لابن عمي اولادا ..!

ورمقت الجندي ، ثم قالت :

ــ كل .. مسكين يا بني .. انك تغفو ، وانت تأكل .. خذ هذه في فمك ...

وما ان انتهى الجندي من تناول عشائه حتى اغتسل .. ثم دلفت به خالته حيث يرقد ابنها ، فارتمى في الفراش بجانب الصبي ... بينما اطمأنت ــ هي ــ الى وجود العقدة حول اصبع ابنها ، وخرجت ، وهي تشيع ابن اختها بنظرة تقطر سما...

انتصف الليل .. فاستيقظ الجندي فزعا ، عندما احس بشبح يجوس بالحجرة ... على انه لم ير شيئا ... فاستوى في الفراش ، وجعل يدير عينيه فيما حوله على هدى شعاع مرتعش لقمر شاحب راح يطل من فرجة بالنافذة الوحيدة في الحجرة ...

وكان الغطاء قد انحسر عن الصبي ، فغطاه الجندي ... وفيما يفعل ذلك ، اذ بالخيط المعقود حول اصبع الصبي قد الفاه مفككا ، عندما استقر عليه الشعاع ــ لحظة ــ ثم اختفى ...

ولا يدري الجندي كيف التقط الخيط ، وعقده حول اصبعه ــ هو ــ لا اصبع الصبي ... ولا يدري ايضا ــ لم احس بالالم في ابهام رجله اليمنى ، عندما وقع بصره على فتلة الصوف القانية اللون ..

ونام .. فاحس بالراحة ، والهدوء ...

وفي الساعات الاخيرة من الليل نهضت الخالة ، ودلفت الى الرواق ، ثم انتزعت النصل من الصدع ، واخفته في صدرها ... فاحست ببرودة الحديد ، فارتعد جسدها ... على ان السكين ما لبث ان سرت فيه حرارة جسمها ، وصار قطعة منها ..

لم يداعب النوم جفونها منذ دخل ....



محمد حسنين عبد المجيد

ابن اختها دارها ، بل طردته شر طردة ... وراحت ترسم خطط المال ... وفيما ستنفقه ... وكيف ...؟ ستضم الى حقلها شريحة اخرى من الارض ... وستقيم بيتا حجريا من طابقين .. وستزوج ابنتها بالطابق العلوي منه..

باتت تنقص مما سيؤول الى اختها :زيد به ما عندها ، تنقص من القليل ، لتضيفه الى الكثير...

ثم همت ، فدلفت الى الفراش الذي يرقد فيه الجندي ، وابنها ، فملأت الحجرة بانفاسها الرهيبة ... وتقدمت ... فتحسست الخيط ، ثم تركته ، واستلت السكين من صدرها ، ثم دفنته ــ بقوة ــ في صدر الجسد المقصود ... سمعت آهة خافتة ، فشعرت بوخزة آلمت قلبها ... على ان ذلك الالم قد تلاشى... فقد طغت عليها نشوة المال ، فتسللت خارجة في هدوء..

فابنها المختل لا يقوم من نومه الا متأخرا ــ كعادته ــ حتى لو انطبقت السماء على الارض .. اما سكينة مع انها تكد طول النهار الا انها تنهض من نومها مبكرة ، لذا أوصدت الام الباب عليها بالمزلاج بعدما أوت الى فراشها ..

عمدت الخالة بعد خروجها الى قناة الري العميقة التي يحفها البوص والحلفاء ... وهتفت وكأنها استحضرت اختها امامها :

ــ هنا سالقي بوحيدك للقراميط وثعابين الماء.. وستعيشين في حرمان والم ما دمت حية ، تماما كما اعيش انا .. سترتوي ارضي بدمه ، وعهدا علي اني ساجعلك تأكلين من محصول سماده ابنك ...

واصغت الى ضحكة رنت في الاعماق منها .. ثم قفلت عائدة حيث الساقية وقد استبعدت فكرة القاء الجثة في المياه خوفا من ان تفوح الرائحة قبلما يأتي السمك عليها .. ففضلت دفنها في بئر معطلة ..

وعندما لاح نور الفجر دلفت حيث الجثة ، فكشفت عنها الغطاء .. وصرخت صرخة هول زلزلت الجدران من حولها عندما اتضح لها ان الفراش خال الا من جسد ابنها الغارق في الدماء .. ومصراع النافذة مفتوحا ...

القاهرة **محمد حسنين عبدالمجيد**

عصر التوازن الشعري

بقلم العوضي الوكيل

* * *

لا بد للناقد الذي يريد ان يضع مثل ديوان الشاعر عبد الملك عبد الرحيم في موضعه من زمانه ، وفي مكانه من التيار الشعري الحديث ، ان يستعرض مسار الشعر منذ عهد محمود سامي البارودي الى اليوم .

لقد ارتفع اول صوت شعري لشعر الطبع يوم صاح الشاعر محمود صفوت الساعاتي وكان يعيش في عصر محمد علي الكبير ، فقال :

وما انا الا شاعر ذو سليقة   ولست بسراق كبعض الاعاجم

وتلك كانت اول اشارة واضحة الى شعر السليقة المناقض في راينا لشعر التكلف والتقليد والمحاكاة .

كانت تلك اول اشارة الى ذلك في الشعر الحديث .

ونضجت العلوم في عصر محمد علي ، وارتفعت شمس النهضة حتى بلغت سمت الافق في عصر اسماعيل بالمطابع والبعوث والمدارس والصحف والمجلات ، وكان محمود سامي البارودي اول ثمرة ناضجة من ثمرات تلك النهضة ، وعلى يديه نهض الشعر العربي ، واسترد بعض شبابه ايام الدولة العباسية ، وكانت مدرسة البارودي هي اول علم بارز لنهضة الشعر رفعته نهضة الثقافة العامة ، وعاد الشعر على يديها الى فحولة الاقدمين وجزالتهم ، والى رصانة اساليبهم وان يكن لم يبعد كثيرا عن معانيهم مما اوقف الشعر في موقف وسط بين تقليد الاقدمين ومحاكاتهم ، وبين ذاتية قائليه عن شعور صادق ووجدان صحيح .

انا لا اعيب مدرسة البارودي ومن تلاه كاحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومحرم والكاشف ونسيم وعبد الحليم المصري وحتى محمود غنيم ، انا لا اعيبها بانها كانت مقلدة ، فهذا وضعها الذي وضعتها فيه ظروفها بين جمود العصر التركي وانطلاق من جاء بعدها من مدارس واتجاهات ، فهذا عصر شعري كان لا بد ان يوجد والا كانت هناك حلقة مفقودة في تاريخ تطور الشعر العربي .

ونستطيع ان نزعم هنا ان خليل مطران قد انحرف قليلا عن مدرسة الكلاسيين التي تتمثل في البارودي ومن جاء بعده ، انحرف تجاه شعر الطبع والسليقة والتعبير الصحيح عن الوجدان الصادق ، فجاء شعره معبرا عن زمنه وعن صاحبه ، وصح لدى النقاد ان يكون شعر الشاعر دلالة على زمنه ودلالة على صاحبه معا . ولذلك صدر ديوانه في جزئه الاول سنة ١٩٠٨ بعيدا عن مذاق شعر مدرسة البارودي بقدر ما هو قريب ممن جاؤا بعدهم كالعقاد وشكري والمازني .

ويرتفع علم النهضة الشعرية الحديثة بصدور ديوان شكري ثم بصدور ديوان المازني ، وكل منهما بمقدمة للاستاذ العقاد ، وضح فيهما كاجلى ما يكون التوضيح المذهب الذي يتمذهبون به في نظم الشعر وتقصيد القصيد . ويصدر كذلك ديوان العقاد ، وتتوالى مقالاته داعمة للمذهب الجديد داعية اليه ، راسمة خطوطه مبينة معالمه لكل مرتاد .

ولنا اذن — اذا اردنا ان نستقرىء معالم طريق الشعر العربي الحديث في نهضته ، ان نذكر البارودي وشوقي ثم نذكر مطران ، ثم نذكر العقاد وشكري والمازني ممن يسمون بمدرسة الديوان نسبة الى كتاب اصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١ ، وهذه التسمية فاسدة لان الديوان ظهر بعد ان كان المذهب قد اعلن واستقرت دعائمه ، وقدم دعاته الى السوق الادبية دواوينهم مصداق ما يدعون اليه .

وندع الجيل الاول من شعراء مدرسة الديوان ممثلا في الائمة الثلاثة : عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري ، لنلقى الجيل الثاني من شعراء هذا المذهب الحديث ممثلا في عبد الرحمن صدقي ومحمود عماد واحمد مخيمر والعوضي الوكيل ، وقد التزم هؤلاء بالاطار العام للاتجاه العقادي ولكنهم استزادوا قليلا من الاتجاه الى الاساليب العربية في فحولتها وجزالتها وقوة اداء الالفاظ لمعانيها ، مما جعل لهم طابعا يمتازون به عمن سبقهم في هذا الاتجاه .

وقد آن لنا ان نقول هنا ، ان شعر شكري ، الذي يفقد كثيرا من مائية الشعر ورونقه كما عرفهما الناس في ازهى عصور الشعر في الدولة العباسية ، كان سببا من الاسباب التي جعلت الناس يتشككون في قيمة هذه الدعوة الادبية الجديدة ، ذلك ان شكري جعل همه الاول ، الفكرة حتى ولو كان وضوح الفكرة على حساب الاسلوب الشعري الذي يفترض فيه ان يكون على قدر من الموسيقية وقرب المأخذ ، وليس هناك عيب ان يتجه الشاعر الى الفكرة ، فان ابا تمام صرف كل همه اليها ، ومع ذلك ابقى لشعره مائية ورونقا وعذوبة ، جعلته يدخل الآذان بلا استئذان ، ولكن شكري كان يقتسر الشعر اقتسارا ، ولست ادري لذلك سببا ، اذ اني اعلم انه كان قد قرأ الشعر القديم وتملأ به وحفظ منه الكثير ، ولا يمكن هنا ان يقال ان تبحره في الانجليزية هو الذي ابقى في شعره هذا الاثر ، فان المازني لم يكن اقل منه تبحرا في الانجليزية واطلاعا على آدابها ، ومع هذا بقي لشعره الرونق والجزالة والمائية .

ويجيء بعد العقاد والمازني وشكري كما اسلفنا جيل عبد الرحمن صدقي ومحمود عماد واحمد مخيمر والعوضي

٥ مقدمة ديوان الشاعر عبد الملك عبد الرحيم

الوكيل ، ويتنبه كثير منهم الى ما جره تشكري على الشعر الحديث ، فيحاولون ان يحددوا للاسلوب والعبارة ، اي للشكل ، مكانا الى جانب المضمون في تقدير الشعر ، فيعتدل بهم الميزان بين شعراء الفكرة وشعراء العبارة ، ويجيئون بشعر لاينكره الاقدمون لان الشكل فيه ، ذو مائية ورونق وموسيقية ، ولا ينكره المحدثون لانه مليء بالذاتية التي تنقل الى القارىء وجدان صاحبه وشعوره الصحيح .

ويجيء شاعرنا عبد الملك عبد الرحيم متابعا لشعراء الجيل الثاني من مدرسة الطبع والسليقة بشعر تسلم فيه العبارة وتسمو فيه الفكرة ويعتدل الميزان بينهما ، فتقرا شعرا صحيح النسب الى الاقدمين برعاية شارات الشعر ورموزه والفاظه ، وموسيقاه ، وصحيح النسب الى المحدثين بصادق شعوره وصحيح وجدانه . وهو وضع لا يحسنه كل من اراده ، اذ لا بد له ان تتملأ نفسه بالقديم تملؤا كاملا ، ولا بد له كذلك ان يتملأ بالحديث تملؤا كاملا ، فيجيء شعره نتاجا من هؤلاء وهؤلاء . وهذا هو العصر الشعري الذي يطيب لنا ان نسميه « عصر التوازن الشعري » وهو عصر بدأ بالجيل الثاني من مدرسة المجددين ، ومن تباشير الحظ السعيد انه بدأ بداية قوية ارضت عنه فريق الكلاسيين وفريق المجددين في وقت معا ، حتى ان شاعرا ذواقة صاحب بصر بالشعر ، كالشاعر حسن كامل الصيرفي ، قال للعوضي الوكيل ذات يوم ، انك تنسب الى مدرسة الديوان ، وانك اولى ان تنسب الى مدرسة الكلاسيين كالبارودي ومن تلاه ، لانك اليهم اقرب وبمذهبهم اشبه . وقد اعتبرت هذا الكلام يوم القاه الي الصيرفي تحية ، وايقنت يومذاك ان عصر التوازن الشعري قد حقق وجوده بشهادة شاهد لا شك في ذوقه وبصره هو الاستاذ حسن كامل الصيرفي . ومثل الصيرفي كثير في ميدان النقد الشعري والحياة الادبية على العموم . وديوان « صلوات وصبوات » الذي بين يدينا هو ثاني ديوان للشاعر عبد الملك عبد الرحيم ، واول دواوينه « قيثارة الاحلام » وهو ديوان كان قد قدمه الشاعر الى لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، فاجازته لجنة الشعر بالمجلس ، وطبعه المجلس على نفقته في سلسلة الكتاب الاول تشجيعا لموهبة الشاعر الواعدة التي ظهرت في ابيات ديوانه .

وديوانه الجديد « صلوات وصبوات » موزع كما يدل عنوانه على شعر الغزل والشعر الديني ، والشاعر من ابناء الريف ، وفي اهل الريف ايمان بالله ، واستسلام للقضاء والقدر ، وائتمار باوامر الدين وانتهاء عن نواهيه ، لا اعني ان اهل المدن ليسوا كذلك ، وانما اعني ان مجتمع القرية على عمومه مجتمع متدين ، وهو الامر الذي امتلأت به روح شاعرنا ففاضت قريحته بشعر ديني عذب من مثل قوله في قصيدة « تعاليت ربي » :

تعاليت ربي   صفاء ونورا
فهيىء لقلبي   شعاعا طهورا
الى شاطىء النور مستنجدا   غريق يمد اليك اليدا
فنورك يا رب نبع النقاء   اذا النفس يوما علاها الصدا
وهذا فؤادي يذوب اشتياقا   الى رشفة من ضياء الهدى
كزهرة روض عراها الذبول   فذابت حنينا لرشف الندى
فيسر له قطرة من سناك   بها ترتوي الروح طول المدى
تعاليت ربي   صفاء ونورا
فهيىء لقلبي   شعاعا طهورا
ضياؤك يا رب للعالمين   اجل واسمى ضياء اهل
على الدرب يحدو خطى العابرين   فيعصمها من مهاوي الزلل
وبسمته واحة من حنان   اذا نازل بامرىء قد نزل
ومن فيضه تستحيل الحياة   حدائق زاهرة بالامل
فكن لي الى ابد الابدين   ضياء به تستنير السبل
تعاليت ربي   صفاء ونورا
فهيىء لقلبي   شعاعا طهورا

وفي قصيدة « الى البيت العتيق » ابتهالات ، ونبضات من الشعر الحي الذي يملأ وجدان قارئه صوفية ونقاء من مثل قوله :

الى مهبط النور جاء الحجيج   لكي ينهلوا منه اصفى رحيق
تلاقت على الحب اعمالهم   لكل صديق وكل شقيق
وتاقت الى الطهر ارواحهم   فلم يقبلوا رفثا او فسوق
ومدوا جميعا اكف الدعاء   حنينا الى فضل حان رفيق
منيبين يرجون جنات عدن   وصفحا يقيهم عذاب الحريق
وكم سالوا الله تكفير ذنب   وابعاد هم وتفريج ضيق
هنالك تجيب السماء الدعاء   ويمضي لبر النجاة الغريق
ويحيا الحياة بروح جديد   تطهر مثل الشعاع الرقيق

والشاعر شاب بدأ عقده الثالث منذ قريب ، فلا عجب ان نرى الغزل المشبوب الذي املاه شبابه الغض على قيثارته ، فجاء شعرا ملتهبا بالعاطفة ، واريا بوجدان الشباب العاشق . وربما كان في ذلك تفسير مقنع لميله كثيرا الى وصف مفاتن الجسد في شعره ، فهي خصيصة نجدها كثيرا في بواكير شعر الشباب ، ولا تزال تفتر قليلا قليلا حتى تتوارى اذا مضى الشباب بفوراته وثوراته الجنسية الجامحة .

ولا اجدني بحاجة الى الاعلان عن ان هذا شعر شاعر كان مكانه في الحياة الادبية جاهزا معدا لاستقباله قبل ان يجيء ، لانه شعر يعنى بالفكرة والعبارة معا على قدر متساو من العناية مما يدعم وجود عصر التوازن الشعري الذي المحنا اليه فيما سبق من هذا المقال .

مصر الجديدة (النزهة)   **العوضي الوكيل**

السيدة وداد سكاكيني

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

•

الاستاذة السيدة الادبية الكبيرة وداد سكاكيني من حاملات القلم الواعي الحي ، ومن صاحبات البلاغة الواضحة ، والاسلوب العربي الاصيل .

جمعت في يراعها بين جمال لبنان ، وعظمة الشام ، وتاريخ القاهرة ، وامجاد بغداد . وكانت من امهات الادب الحر ، والثقافة النيرة ، والصراحة الهادئة .

لا تقليد في كتاباتها ومؤلفاتها ، ولا اقتباس في مقالاتها وآرائها . بحيث انها تملك مدرسة خاصة بها تجعلها في طليعة اديبات العالم العربي من اللواتي يتباهى بذكرهن الرجال ، وتتفاخر بترديد اسمائهن المحافل ، وتتسامى بكلماتهن الاحرف العربية ..

والسيدة وداد سكاكيني ليست بحاجة الى تقديم ، وتعريف ، واطراء ، وتقريظ ، مثلما تقوم به بعض الاقلام لبعض المتباهيات المتزلفات النكرات في عالم الصحافة ومدعيات الكتابة والادب .

عرفتها كاتبة قاصة منذ عام ١٩٣٨ يوم ان كانت « الطليعة » من ابرز مجلات العالم العربي في دمشق . ترجو منها المساهمة في كتابة (القصة) المتكاملة النافعة ، والنقد الهادف البناء . ويوم ان كانت بعض الاديبات والصحفيات والشاعرات يكتب لهن رجال في بلادهن باسمائهن او باسماء مستعارة .

قال عنها الاستاذ الفاضل والصحافي المتتبع انور الجندي : « انها تمثل المثل الاعلى للمرأة الكاتبة فهي تشترك اشتراكا فعليا بارزا في معارك القومية العربية ، وتؤدي دورها في حركة المقاومة والتجمع .

كاتبة لها طابعها الواضح ، ولونها الصريح ، وتعنى بشؤون المرأة العربية على اوسع نطاق » . واردف يقول :

و « انها مجادلة ضخمة ، ومساجلة قوية ، وكتاباتها مثالية النهج قائمة على القيم ذات الهدف الواضح في التربية والفضيلة والخلق .

وهي تقاوم دعوى الاقليمية في الادب العربي كما تحارب الدعوة الى العامية » .

وليست شهادة الاستاذ الكريم انور الجندي هي الوحيدة بحقها ، بل هناك شهادات اخرى في نظري شهادة المنابر التي اعتلتها السيدة وداد سكاكيني . وشهادة الصحائف التي سجلتها في كبريات المجلات والصحف القريبة والمهجرية :

وشهادة الاثير الذي حمل صوتها المدوي بالعزة والكرامة ، والحرية ، والنهضة ، والتحرر السليم . والجمال والعذوبة في الافكار والعبارة .

وشهادة المؤتمرات التي حضرتها مندوبة وممثلة عن بلادها سورية ، واخواتها العربيات ، في الندوات والمؤتمرات النسوية والادبية .

اذا ذكرت الشام ونهضتها الادبية والنسائية فان الادبية الكبيرة وداد سكاكيني تاتي الزهرة العطرة في نسائم ادبها ومحافلها العلمية . واذا تحدث الادباء والنقاد والقصاصون عن الحركة الادبية النسوية ، فان السيدة الفاضلة وداد تأخذ الصدارة في ساحات كتاباتهم ، وتمجيدهم واطرائهم .

كانت مجلات الرسالة والاديب والعرفان والكاتب والآداب من المجلات التي تعتز بكتابة الاخت وداد سكاكيني ، ويرجع اليها كلما درست قضايا المرأة العربية المعاصرة .

ولو كان هناك بعض الانصاف في تقييم الناس من الادباء والاديبات لرأيت بان وداد سكاكيني هي النموذج الحي الصادق البديع للمرأة العربية الفاضلة الواعية المرشدة في قلمها وكتاباتها ومؤلفاتها . ....

فهذه « خطراتها » و« مراياها » للناس ، وتاريخها « لامهات المؤمنين » وسفرها « بين النيل والنخيل » وحبها « لاروى بنت الخطوب » ونقدها « للحب المحرم » و« انصافها للمرأة » وايضاحها « للستار المرفوع » وحبها « للعاشقة المتصوفة » ومعرفتها للحرف « بين سواده وبياضه » ، وتحليلها « لعمر فاخوري » وهو ابن بلدها القديم .

كل هذه الاضمامة من الورود والرياحين نظمت عقدها الاستاذة وداد سكاكيني .

وتشاء الحياة ان تجمع بينها وبين الشعر السلسل المنطلق كمياه بردى وهو في جزره وافتخاره وجريانه . يوم ان جمعت مائدة الحياة والادب والروح والصلة الزوجية بينها وبين المرحوم الصديق الاستاذ الشاعر الموهوب الدكتور زكي المحاسني . رحمة الله عليه .

واذا اردت ان اقتطف للقارىء العربي نماذج كثيرة من مقالاتها ، ومؤلفاتها فيكون في رايي كمن يقوم بنشر اعلان للدعاية . وهذا ما لا تحتاج اليه وداد وربما قد يفقد المقالة رونقها ، والكتاب جوهره . واعتقد ان بيانها لا يحتاج الى تدليل ، او دعاية . ومع هذا فاني اعرض لها بعض المقتطفات الادبية من كتبها ، وبعض اللمحات العبقرية من افكارها . استمع اليها في قولها عن (عمر فاخوري) ومنبت اسرته في لبنان :

« فمن داب لبنان ان يختص نوابغه بطوابع من صنعه وابداعه ، وان يمدهم لايام عصيبة واحداث طارئة .

فاذا ضاق على نفوسهم الكبيرة وطموحهم البعيد فلقوا بكفاحهم وآمالهم الى اقصى الارض ، لكن قلوبهم المملئة بالوفاء والحنين تبقى عالقة بتراب الوطن وطبيعته وتراثه » .

وقالت تصف عمر فاخوري الكاتب المبدع صاحب « اديب في السوق » ابن بيروت الساحرة قولها : « لقد حمل من البحر عمقا وانطلاقا ، ومن الجبل الملهم الذي ترتفع قممه وتسطع وتمتد سفوحه نضرة وقوة وتساميا . »

وقالت تصف دمشق وطبيعتها الجميلة بقولها :

« وكانما منحة البقاء في دنيا الفناء يلونها النهار في البكور والآصال ، بتلاوين الخمائل الخضر ، والافواف الحمر ، والغلائل البيض » .

وذكرت عن المرأة المعاصرة قولها :

« وما اجرانا ونحن على وصيد حياة جديدة حرة بان تتخذ المرأة المعاصرة من هذه السيرة المثالية نشيدا تحدو به نهضتها واهزوجة تهدهد طفلها وتمضي في بيتها وبين الناس على هذا النور المنبعث من صوب الجزيرة ودائرة الوحي مستلهمة من امهات المؤمنين واخوات الشهداء . معاني الايثار والوفاء وآيات التقوى والفداء » .

وها هي ترسم بريشتها البارعة المرأة وتتحدث عن مشكلة انصافها ، قالت :

« وما كانت المرأة في كل عصر ومصر ، الا ريحانة الوجود ، ووسيلة الخلود ، فلنرو مغارسها بماء من صفاء القلب والروح . ولتعهد نماءها بعناية وتمحيص واخلاص . وعندئذ تكون قد انصفنا المرأة وصنعنا من اجلها الجميل الذي لا يفنى » .

وذكرت لنا عن الذين يسدون نوافذ الحرية والمعرفة بقولها :

« الى من يسدون النوافذ ليطفئوا نور الله ، والى من يفتحونها بأذيهم ليملأوا القلوب من هذا النور . ولو كره الذين في نفوسهم ظلام .

والى اللواتي يزيفن الكلمة كما يزيف الدينار . والذين يموهون الحروف ليتقدموا الصفوف » .

ثم اشارت عن الكتابة بتعريفها اللطيف :

« فالكتابة حبر على ورق لكنه سواد يشع بالنور ، وما جدوى مداد ينسحب لونه على الورق فلا يترك اثرا في حس او نفس او ذكرا في بال » .

وتحدثت لنا عن مقالاتها المطوية والحبيسة بين الأوراق قالت :

« لولا انها تحمل انفاسا من روحي ووجداني وصفحات من قلبي مرت باطوار من التامل والنقد وحدة الاحساس بالواقع لما استجبت لها » .

ومن حسن تعليلها عن الهواجس والذكريات قولها :

« وان الهواجس والذكريات ارواحا كارواحنا فهي تنفصل عنا تحمل منا نصيبها من الحياة . وكم يسيء الادباء الى انفسهم وخواطرهم حين يحكمون عليها بالسجن والاهمال » .

هذه المقتطفات الخالدة من كتابات اديبة الشام الكبيرة الاخت السيدة وداد سكاكيني ذكرتني في خاطرة وهي موجهة الى اتحادات النساء العربيات في الشرق ، وديار المغرب العربي تدعوهن هذه الخاطرة في قيامهن لتكريم اديبتنا العربية البارعة . والاشادة بخدماتها الاجتماعية والثقافية ـ وهي لا زالت والحمد لله ـ ذات القلم السيال الحار الكلمات والتوجيه في خدمة المجتمع العربي ، اسرة ، وامرأة ورجلا وطفلا .

ولعل خدماتها في سبيل المجتمع النسوي العربي ، بمؤلفاتها الرصينة ، واحاديثها البديعة ، وافكارها المبتكرة الجديدة . ما يساوي عشرات الاجتماعات في اتحاداتهن التي تقضى عادة وغالبا في الاحاديث المعادة ، والمظاهر الجوفاء . والتي تفتقد دائما الى آراء ومشورة وحكمة السيدة وداد سكاكيني .

فهل نرى ـ نحن الرجال ـ انصاف الاتحادات النسوية ، لاختهن المحترمة في تكريمها بمهرجان نسوي عربي عام . واعادة طبع مؤلفاتها المطبوعة النافدة وتوزيعها على عضوات الاتحادات وفي مكاتبهن ، ودور المعاهد الثقافية والاجتماعية . كما تسعى الاتحادات العربية في نشر مؤلفاتها المخطوطة التي تنتظر الناشر المنصف ، والموزع العادل .

واذا كانت هذه الفكرة لا تروق النساء الاتحاديات ، لانها صادرة من رجل ، فارجو الا تطمس الغيرة من بعضهن معالمها ، وتذهب من سمو مقصدها ، واحرى بهن الا يدعين بانهن مظلومات دائما من الرجال . يحتاج لهن من ينصفهن منهم . في حين انهن والواقع يشهد ، لم ينصفن الكريمات النابغات من بنات جنسهن في دنيا العالم العربي .

تلك هي كلمة صغيرة توخيت فيها الحقيقة التي شعت من بين آثار الاديبة المحترمة السيدة وداد سكاكيني . الحقيقة التى يراها الانسان وهي بادية في مؤلفاتها الرائعة وفي كتاباتها النافعة .

ولي فيما تسنح به الفرصة القابلة ان ارد ما علي من دين ادبي تجاه هدايا الاديبة الكبيرة ، والكتابة عنها ، وعن اخوتها العزيزة المحترمة ، وشمائلها العربية المعروفة ، ووفائها لوطنها العربي الكبير ، وامتها المجيدة الخالدة . واخوتها المخلصين ، واخواتها الكريمات ، واسرتها الفاضلة .

جامعة بغداد ـ كلية الآداب — محس جمال الدين

التليفزيون

« حقيقة لا خيال »

منطفئا تركته   فاظلمت صفحته
يزيحني منزويا   وقد تلاشى صوته
اغفلته كانما   تبددت بهجته
اراه يستدرجني   لصخب كرهته
هو الجماد ما درى   اي اسى حملته
فاين ليلاي التي   بها زهت صورته
كانت اذا رنت له   تالقت فتنته
تضفي عليه رونقا   بمهجتي فديته
يحلو لها لكنها   في مقلتي حليته
يحلو بها اذ كشفت   عنه الذي جهلته
قد مثلت فنونه   في طرب عهدته
وقلدت غناءه   في مرح عشقته
كم قرظت فاوضحت   ما خفيت روعته
وانتقدت فاومات   لما التوت وجهته
وهي لدى الحالين   عقل كملت فطنته
بل نسم مؤرج   قد عبقت نفحته
او طائر مرفرف   تناغمت صدحته
ارنو اليه بعدها   وقد خبت طلعته
ارمقه على شجى   تازمت غصته
صار اليما حيث لا   افهم ما سقطته
اذنب وهما دون ان   تظهر لي زلته
ندمت اقوى ندم   لانني اشتريته
جافيته حيث غدا   مصدر لهو مقته
وكيف يشدو راقصا   بعد الذي كابدته
لو اسعد المحزون لو   كنت الان صافيته
لكنه كدابه   يلهو بما ابغضته

وبعد عام مر بي   كمائة ذكرته
فجئته منطفئا   وليتني ما جئته
حاولت ان افتحه   فلم تبن شاشته
تخاذلت اسلاكه   وانطفات صورته
انتحر المسكين اذ   تباعدت ربته
بكى عليها صامتا   واتقدت حسرته
ماتت فما من عجب   اذا تسنى موته
فقد لعمري هزني   منه جوى جربته
اهكذا اتركه   ومحنتي محنته
عانقته محتضنا   ابكي وقد قبلته

الرياض - كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

« قصة الادب في العالم » تصنيف احمد امين وزكي نجيب محفوظ ، ج١ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ .

١ ــ ورد على الصفحة (٥) « هومر » ، وعلى الصفحة ١٤ ، ١٣١ ... « هوميروس » .. والمناسب ان توحد الكتابة ، والثانية انسب او اصح وادخل بالتراث العربي .

٢ ــ ورد على ص ١٥٩ ــ ١٦٠ هزيود وكتابه « الاعمال والايام » ، وورد على ص ١٦١ هزيود وكتابه « الايام والاعمال » ــ والاولى هي الصحيحة .

٣ ــ ص ١٨٧ « ديونيسوس اله الايماء والاثمار » . والصحيح : الانماء والاثمار ــ والخطا مطبعي كما يجب ان يكون .

٤ ــ ورد على ص ١٩٣ « سوفوكليس » ، وعلى ص ١٩٧ « يوربيدس » . ثم ورد العلمان على ص ٢٤٤ « سوفوكليز ويوربيد » . والمناسب ان توحد الترجمة .

٥ ــ ورد على ص ٢٦٩ : الانياده ، وعلى هـ ٢٩٨ ، ٣٦١ : انياذه . والمناسب ان توحد الترجمة ، والاولى هي الشائعة واصح الروايتين ، وعليها صدرت ترجمة « الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر » وجاء في هـ ١٠ من المقدمة : « جرى العرف في الثقافة العربية على نطقها « الانيادة » ، والنطق اللاتيني الصحيح للكلمة هو « الاينيدة » .. » .

٦ ــ ص ٣٢١ : « وبواكير الشعر الفرنسي يطلق عليها إسم انشودة المغامرة Chanson de gesté وكان موضوع الشعر عندئذ بطولة الفرسان ... وهو من نوع الملاحم في روحه ومادته » .

الصحيح : Chanson de geste

٧ ــ ص ٣٣٩ ، صعد (بفتح العين) : الصحيح ، صعد (بكسر العين) .

٨ ــ ص ٤٠٣ « فراينا للهنود والمهابهارتا » : الصحيح : فراينا للهنود المهابهارتا . والخطا مطبعي .

٩ ــ ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ « وقد اثر الجاحظ فيمن اتى بعده ... وجاءت بعد ذلك ضبقة تبتعد قليلا قليلا عن المزاوجة ، وتقترب قليلا قليلا من التزام السجع الكامل ، ونرى مصداق هذا التحول في كتابات الثعالبي في مثل كتابه « يتيمة الدهر » ، فلما تم التحول نرى السجع غالبا في مدرسة على راسها ابن العميد . ومن رجالها ابو اسحاق الصابي وابو بكر الخوارزمي وبديع الزمان الهمداني ... » .

الفقرة مضطربة ، توهم بان الثعالبي جاء قبل ابن العميد والصابي والخوارزمي والهمداني ، وهذا غير صحيح .

١٠ ــ « وحكى حمزة الاصفهاني المتوفي سنة ٥٣٠ هـ » ــ الصحيح : ٣٦٠ (او حوالي ٣٦٠) ينظر الاعلام للزركلي ٢ \ ٣٠٩ .

١١ ــ ص ٤٥٣ : « وكان ملوك الزيادية في طبرستان (٣١٦ ــ ٤٧٠هـ) ... » الصحيح : الزيارية ــ وهو مما يرد الى الخطا المطبعي .

١٢ ــ ص ٤٥٤ « شعراء الفرس ... مثل الانواري » ، ص ٤٥٥ « شعراء عظام ، مثل الدقيق ... » ــ الصحيح : الانوري (او انوري) ، الدقيقي (او دقيقي) .

(٢)

« علم المسرحية » تاليف الاردس نيكول ، ترجمة دريني خشبة ، راجعه علي فهمي ، القاهرة ، الادارة العامة للثقافة ــ ... ١٠٠٠ كتاب . تاريخ مقدمة المترجم ١٩٥٦ .

١ ــ « هذا الكتاب هو ترجمة لـ The Theory of Drama سنة حميدة واجبة ان يذكر المترجم عنوان الكتاب بلغته الاصلية . ولكن ترجمة Theory بعلم لا يخلو من ملاحظة ، وتزداد الملاحظة اذا كان وراء المترجم مراجع ، والا فان الـ Theory لا تعني العلم ، وان المسرحية ليست علما . ان اشهر ما تعنيه اللفظة الانكليزية : نظرية ، وربما كان طرح الكلمة من العنوان خيرا من ترجمتها بالعلم .

بل ان المترجم نفسه ترجم Theory في حاشية ص ٣١ ، ٣٦ بـ رأي ، وقال في هامش ص ٥٦ « النظرية الاوربية في المسرحية » ــ ينظر هامش ص ٥٤ .

٢ ــ ص ٨ « هوراس ٨٦٥ ق.م » . الصحيح : « ٦٥ ــ ٨ ق.م »

٣ ــ ص ١٧ « فرنسا ... عدد من الكتاب ... مقعدي القواعد مثل تشابلان ١٥٩٥ ــ ١٦٧٤ ... » وورد كذلك ص ٥٤ ، ولكنه ورد على ص ١٢٤ « شابلان » وكان العلم الواحد علمان ، ولا ادل على ذلك من ورود تشابلان في فهرس الاعلام تحت حرف التاء مع الاشارة الى ص ١٧ ، وورود شابلان في الفهرس تحت حرف الشين مع الاشارة الى ص ١٢٤ .

والحقيقة ان العلم واحد يجب ان يكتب ــ كما يلفظ ــ شابلان اي Chapelain

٤ ــ رسم اسم الشاعر الاغريقي اسخيلوس (بالخاء) على ص ٣ ، واسكيلوس (بالكاف) على ص ٢٥ ، ٢٩ ، ١٣٤ ، ١٩٥ ... بل انه ورد على الشكلين (اسخيلوس ، اسكيلوس) على صفحة واحدة (٢٣٨ ..) وورد

اسخيلوس في الفهرس .

والمعقول : توحيد الرسم .

٥ ـ رسمت كلمة « المسئلة » كما ترسم في مصر ، والمعقول ان ترسم على : « المسألة » .

٦ ـ ص ٧٤ « فاذا كانت العناصر المضحكة والعناصر المحزنة ممتزجة ببعضها ... لحصلنا على نتيجة يبررها الطابع العام ... »

لا موجب للام قبل حصلنا .

٧ ـ ص ٢٠٠ « ... فونتني Fontenelle ... »

الصحيح : فونتنل .

٧ ـ ص ٢٦٩ « روميو وجوليت » .

يضع الكتاب المصريون ثلاث نقاط تحت الجيم اذا كان الاصل الاجنبي يلفظ جيما (ڃ) وليس كيما ، وهم مضطرون الى ذلك في اللهجة الدارجة ـ العامية ـ ولكن اللجوء اليه في ترجمة فصيحة غير صحيح لان الجيم بثلاث نقاط فارسية ويمكن ان نستعملها مقابل ch الانكليزية .. وعلى هذا فهي « روميو وجوليت » وليس ما يترجم في مصر للمصريين فقط .

والعجيب ان هذا التصرف يتكرر ويمر دون ملاحظة كانه حقيقة ثابتة اقرها مجمع من المجامع .

(٣)

ـ « العصر الجاهلي » (تاريخ الادب العربي ـ ١) تأليف دكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠ .

١ ـ هامش ص ٢٦٨ ، المعلقات : « ... في شرح التبريزي للمعلقات العشر ... » ، وتنظر ص ١٧٦ .

اسم كتاب التبريزي شرح القصائد ...

٢ ـ هـ . ص ٣٧٥ ، الصعاليك : « راجع بحثا في الشعراء الصعاليك ليوسف خليف (طبع دار المعارف) .. »

البحث : كتاب يقع في ٣٤٨ صفحة .

ـ « ثورة الشعر الحديث » من بودلير الى العصر الحاضر ، دكتور عبد الغفار مكاوي ج١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية ٧٣

١ ـ يتحدث عن ديوان بودلير فيترجمه مرة « ازهار الشر » ص ٦٧ ، ومرة « زهور الشر » ص ٦٨ ، ولا يخل ذلك بالمعنى ، ولكن المناسب توحيد الترجمة ، و « ازهار الشر » هو الذي صار علما بالعربية .

٢ ـ ص ٤٢ « ديدرو ... في روايته « ابن اخ رامو » ... » الصحيح « .. ابن اخي رامو » .

ـ « النظرية الرومانتيكية في الشعر » ـ سيرة ادبية لكولريدج ، ترجمة الدكتور عبد الحكيم حسان (مدرس الادب المقارن ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة) ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ .

الكتاب الفه صاحبه (كولريدج) بعنوان « سيرة ادبية » Biographia Literaria واشتهر بهذا الاسم وسار في الآفاق وهو عنوان ممكن ترجمته الى العربية . ولكن الذي حدث ان آثر الدكتور حسان ان يغير الاسم الذي اطلقه المؤلف على كتابه ، فجعله « النظرية الرومانتيكية في الشعر ـ سيرة ادبية لكولريدج » . والتغيير ـ كما هو واضح ـ غير علمي ، ولو عمل الاستاذ المترجم العكس فقدم السيرة الادبية على النظرية الرومانتيكيه ـ اذا كان لا بد من النص على الرومانتيكية ـ كان التغيير ايسر .

ـ « اشهر المذاهب المسرحية » تاليف دريني خشبة ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، مكتبة الآداب ١٩٦١ .

١ ـ ص ٧٠ « المذهب الكلاسيكي ... يمثله ... بوسويه « الشاعر » .. » ليس بوسويه (او بوسوه) شاعرا ... انه خطيب (ديني) .

٢ ـ ص ١٢٩ جي دي موباسان ... « وقد شل .. ثم جن » .

ليس في علمي ـ وعلم مصادري ـ ان موباسان قد شل قبل الجنون .

٣ ـ ص ٢٢٩ « السريالزم ... رجل روسي يدعى ترستان زارا ... » المعروف ان Tzara ولد في رومانيا ..

وذكر المؤلف ان دادا dada تعني « ابا » وما هي كذلك بالفرنسية او لدى الحركة الدادائية ، وتحميلها هذا المعنى غير صحيح .

٤ ـ ص ١٥ « تشابلان » : شابلان .

ـ « الرومنطيقية في الادب الفرنسي » تاليف ف.ل. سولنيه ، ترجمة احمد دمشقية ، بيروت ، منشورات عويدات ١٩٦٠ .

(٤)

١ ـ ص ٧٨ « تستحق « مارسيلين ديبورد فالمور » ١٧٨٦ ـ ١٨٥٩ ، التقدير والاحترام بين غيرها من الشعراء الرومنطيقيين لصدق لهجتها » .

الصحيح : مارسلين ديبور فالمور امراة شاعرة ، وعلى هذا تكون العبارة العربية : « تستحق مارسلين ... بين غيرها من الشعراء .. لصدق لهجتها ... »

٢ ـ بصدد مؤلفات فيكتور هيكو ص ١١٢ ... « ثلاثة وتسعون » ١٧٧٣ ... » هكذا ورد تاريخ هذا الكتاب ، وصحيحه ١٨٩٣ . ومصدر الخطأ الكتاب الفرنسي المترجم عنه .

٣ ـ ص ١٢٢ « ... ولكن اكبر سادة البحث الوصفي هما : « تين » و « رينان » ... » صحيح الوصفي : الوضعي .

٤ ـ ص ١٢٣ : « المؤلفات الكبرى الثلاث » .

الصحيح : « الثلاثة » .

٥ ـ ص ١٤٣ « عرفت الطبيعيات عند زولا مرحلتين ... » صحيح الطبيعيات : الطبيعية .

٦ ـ ص ١٤٤ « لقد نشر معلم هذه المدرسة (اي زولا) من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٨٩٣ مجموعة « روغون ماكار » . اما « بطن باريس » ... و « الهراوة » ... ونانا .. وجرمينال ، والارض ، فانها بعض من العشرين

الحبيبة التي عانت

شراعك انطافي على الزئبـــق　　من مغـرب يمضي الى مشـرق
تلهـو بـه الانـواء ، تهـوي به　　من ارفـع اللج ، الـى الاعمـق
ينساب ، والاوهـــام في عطفـه　　عز الامـاني ، باهت الرونــق
غرورك الاعمـى ، متى تجـري　　يسلس لـك الاثام في الـزورق

دمية الـود ! الـم تخجـلي　　مـن غضبـة الـود ؟ الم تقلقـي
في كـل يـوم رحـلة تنتهـي　　الـى جديـد ظاهـر ، مغلــق
غرقـت في الغـي ، فلم تلحـقي　　وهمت بالاثـم ، فلـم تسبـقي
تلفـك الشمـس باشـواقهـا　　وبالسناء النيـر المشـرق
فلا تريـن النـور ، عبر الدجى　　اذ انـت في تطوافـك المرهــق

عانيـت ؟ ما عانيت ، بعد الـذي　　شدنـاه من الهامنـا المـورق
انا فتحنـا للنـدى مشرعـا　　مخفـوض الاضواء ، لـم يغلق
ما سـاقنا همس الـى ضـلة　　الا هدتنـا صيحـة المنطـق
ولـدة الاجسـاد ، ان تاتلــق　　تـورق سماحـا في فم المطبـق

دمية الــود ! ووا حرقـتي　　اذ مـت في فردوسي المـونق
خفرت عهـدا كان ، لو صنته　　ابقـاك ذكرى، في الفؤاد الشقـي
ضريحـك النسيان ، باق علـى　　اعطافـه بعـض الذي قد بقـي
هنـا ينام الجرح في خـاطر　　لولا دمـوع الحـب ، لم يخفـق

فوزي عطـوي

مجلدا من السلسلة التي تنتهي بـ « الدكتور باسكال » ..»

يفهم القارىء العربي من هذا ان مجموعة « روغـون ماكار » شيء ، وبطن باريس والهراوة ... من العشرين مجلدا في السلسلة شيء اخر . وهذا غير صحيح ، لان مجموعة روغون ماكار هي هي العشرون مجلدا ، وان بطن باريس والهراوة ... الخ مفردات من المجموعة اي حلقات من السلسلة .

٧ ـ يعمل العرب الذين يترجمون عن الفرنسية على ان ينهوا اسماء الاعلام (اكثر الاعلام) بـ « ية » دون ان تكون هذه الـ « يه » ier في الاصل . وهذه ظاهـرة غريبة خطأ ، ولكنها متكررة في مصر كما في لبنان . ولها امثلتها الكثيرة في كتاب « الرومنطيقية » هذا ، فنجد :

ميريميه ص ٣٦ ، رينيه ٣٧، جولينت دروويه ٦٧ ، موسيه ٧٧، ميشليه ٧٩ ، انوريه ٨٩ ، غرانـديه ٩١ ، كاميه ١١٤ ، ليتريه ١٢٠ ، مورجيه ١٢٦ ، بول بورجيه ١٣٩ ، ١٤٨ ، اميل فاغيه ١٦١ ، بيديه ١٧٤ ، كرواسيه ١٣٤ .

واواخر هذه « الاعلام » e , é , et واقرب رسم عربي الى الصحة هو : مريمه ، رنه ، دروه ، ميسه ، ميشله ، انوره ، غرانده ، كامه ، ليتره ، مورجـه ... كرواسـه .

وقد يكون مناسبا الاصطلاح على رسم خاص .

جامعة بغداد ـ كلية الآداب　　علي جواد الطاهر



عيسى فتوح

الشاعر شكر الله الجر كما عرفته

بقلم عيسى فتوح

* * *

لا اتذكر الاسباب التي دفعتني يوما الى الكتابة عن العصبة الاندلسية في مجلة «الضاد» (١) لصاحبها الاستاذ عبدالله يوركي حلاق ، أهي ولعي القديم بادب المهجر ، وقد كتبت عن عدد من ابرز اعلامه ، ام التناقضات التي عثرت عليها عند قراءتي ما كتبه عنها كل من الشاعر جورج صيدح في كتابه « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » ، والمرحوم توفيق ضعون في كتابه « ذكرى الهجرة » ، الذي يعتبر من اهم الوثائق المتصلة بادب المهجر ، وكان في طليعة هذه التناقضات ، تاريخ تاسيس العصبة الاندلسية في البرازيل ، أهو عام ١٩٣٢ – كما يقول صيدح – ام هو عام ١٩٣٣ – كما يقول ضعون – الذي اكد هذا التاريخ في مقالة كتبها عن العصبة الاندلسية في احد اعداد مجلته «الدليل» الصادر في ١٠ شباط سنة ١٩٣٣ ، اي في الشهر التالي لتاسيس العصبة ؟! كذلك اختلف ضعون وصيدح في اثبات من انضم الى العصبة اولا ، ومن بقي خارجها ، فصيدح يجعل داوود شكور ممن لم ينضموا الى عضوية العصبة الاندلسية ، لكنه كان يغذي مجلة العصبة بانتاجه ، في حين يذكر ضعون ان داوود شكور كان نائبا للرئيس !.

ولما قرأ الاستاذ عصام حداد مقالي هذا ، سأل المرحوم شكر الله عن سر هذا التناقض ، وطلب منه ان يكتب عن العصبة الاندلسية ، باعتباره احد مؤسسيها . فاجاب على سؤاله ببحث قيم نشرته مجلة الضاد في العدد (٩ – ١٠) تشرين الثاني وكانون الاول عام ١٩٦٩ جاء فيه : « السر في ذلك هو اختلاف المصادر التي اعتمدها الباحثون في الادب المهجري في البرازيل ، وهم بعيدون عنه. لقد اعتمد الاديب عيسى فتوح في حديثه مصدرين ، اولهما « ادبنا وادباؤنا .. » للاستاذ صيدح ، الذي كتب ما كتبه عن العصبة وادبائها ، دون ان يتصل بالعدد الاكبر منهم ، لتكون له انطباعاته الخاصة عن كل منهم ، وانا واحد ممن لم يتصل بهم ، على كوني من صفوة المؤسسين » .

وقد يعذر الاستاذ صيدح على تقصيره هذا ، نظرا للوقت القصير الذي قضاه في البرازيل والذي لم يفسح له مجالا كافيا للتقصي والتدقيق ، وهذا شان كل باحث عابر سبيل ، لا تخلو بحوثه من اخطاء ، ولعل الينابيع التي استقى منها معلوماته لم تكن كلها وافية وصافية » .

اما المصدر الثاني الذي اعتمده الاستاذ فتوح فهو « ذكرى الهجرة » للمرحوم توفيق ضعون، وصاحبنا توفيق ما كتب مرة بيراعة الاديب النزيه ، الا كتب مرارا بيراعة التاجر المنتفع ... وهكذا اثبت المرحوم شكر الله في مقاله القيم ان تاريخ تاسيس العصبة هو ليلة الخامس من كانون الثاني عام ١٩٣٢ ، ويقول عن هذه الليلة «انها الفجر الجميل الذي اشرق له جبين العربية الفصحى في تلك المهاجر القصية ، ولا يمكن ان انسى تلك الوجوه الحبيبة في تلك الجلسة التاريخية وما تخللها من انتخاب عمدتنا من الاحاديث الادبية ، والطرف الشعرية ، في شقة رئيسها الاول ميشيل المعلوف ، الذي بدا في منتهى الظرف والكياسة وكرم الضيافة ، وفي تلك الليلة تبرع رئيسها المنتخب باستئجار شقة كمركز للعصبة ، وتبرع نائب رئيسها داوود شكور بتأثيثها ».

« اما التاريخ الذي ذكره ضعون عام ١٩٣٣ ، فهو تاريخ التصديق على دستور العصبة من جانب الحكومة البرازيلية ، اذ سبق للعمدة المؤسسة ان تقدمت بطلب التصديق عليه ، لتتمكن من مزاولة نشاطها بصورة رسمية قانونية ، وهذا وجه التباين البارز بين التاريخين : تاريخ التاسيس وتاريخ التصديق » .

بعد صدور هذا المقال كتبت للمرحوم شكر الله الجر شاكرا ، لانه وضع الحقائق في مواطنها ، وازال كل لبس وابهام من الاذهان ... فاجابني برسالة تاريخها ١٨ كانون الثاني ١٩٧٠ يقول فيها : « رسالتك الرقيقة بين اناملي يفوح منها عبير المودة وادب النفس ، دونما تعارف سابق بيننا ، فشكرا لك على البادرة اللطيفة ، كونك البادىء بهذه الصلة ، فالى مدى طويل ان شاء الله » .

« اخي ، ان موقفك من البحث في العصبة الاندلسية، ما كان سوى رغبة جميلة منك في تقصي الحقيقة ، كما

ذكرت ، وهذا ما تحمد عليه ؛ ولو ان جميع الادباء نهجو نهجك لما بقي غامض دون جلاء وتوضيح ، تحسنا فعلت انت ، وحسنا فعلت انا ، ولعل الفضل الاكبر يعود اليك باستدراجي الى تبسيط الموضوع الذي وقفت عنده حائرا : ومن حقك ان تتحير وتحير ، طالما الباحثون في تاسيس العصبة كثيرون ، وجلهم اعتمدوا من سبقهم بالكتابة عنها . فكان طبيعيا ان تتكاثر الاخطاء وتتفاقم وتتراكم » .

ويختتم الرسالة بقوله : « كان بودي ان ابعث اليك بمؤلفاتي المطبوعة ولكنها نفدت كلها ، ولن انساك من مؤلفاتي التي ما يزال بعضها تحت الطبع ... تجد طيه الكراس الذي وزع على الجمهور ، يوم الاحتفال بوصول رفات اخي عقل ؛ وقاك الله من كل مكروه » .

وفعلا بر الصديق العزيز بوعده ، فبعث لي على مدى اربع سنوات ، خمسة كتب من مؤلفاته ، مطرزة باجمل عبارات الاهداء ، هي على التوالي :

١ ـ جرز الخطيئة او ديفا وآدون : رواية كتبت في البرازيل ، وبطلها المؤلف نفسه ، نيسان ١٩٧١ .

٢ ـ اغاني الليل ـ ديوان شعر ، اذار ١٩٧٢ .

٣ ـ من خوابي الزمن ـ ديوان شعر ، اثبت على غلافه الاول لوحة المناحة على ادونيس ، وهي من رسمه .

٤ ـ بروق ورعود ـ ديوان شعر : غلافه ورسومه بريشة الشاعر ، آذار ١٩٧٢ .

٥ ـ وفي اخر زيارة له في جبيل في ٢٣ آب ١٩٧٤ قدم لي كتابه « نبي اورفليس ـ جبران خليل جبران » وديوان المرحوم اخيه عقل ، وفي مكتبتي ، بالاضافة الى هذه الكتب الخمسة ، روايته « الشبح الابيض » ، وملحمته الشعرية « قرطاجة » ... ولشكرالله الجر مؤلفات شعرية ونثرية اخرى ، طبعها في البرازيل ، منها : « المنقارالاحمر » الذي يعتبر من احسن كتب النقد ، واغزرها مادة ، وارشقها اسلوبا ، واعلاها بيانا ، كما يقول عبد الله يوركي حلاق ، ويضم مجموعة من المقالات النقدية في الادب والفن ، ظهرت تباعا في مجلته « الاندلس الجديدة » .

وبعد ان تحدث فيه عن النقد بقوله : « ليس هناك نقد عنيف او نقد لطيف ، بل هنالك اما نقد مصيب او نقد مخطىء » ، قال : « ان الادب قوام الشعوب والامم ، والنقد قوام الادب والفن » ، ثم تحدث عن افاعي الفردوس لالياس ابي شبكة ، ورسالة المنبر لفيلكس فارس ، وادباء معاصرون لحبيب الزحلاوي ، والجبل الملهم لشارل القرم ، وعبقر لشفيق المعلوف ، وارجوحة القمر لصلاح لبكي ، وقلب العراق لامين الريحاني ، وهي الدنيا لرشيد ايوب ، ثم عرج الى قمتين من قمم الادب العربي والغربي ، هما المتنبي وفيكتون هيجو ، وختم الكتاب بمقال عنوانه « زنابق الفجر » تحدث فيه عن ديوانه الذي يحمل هذا الاسم ، وعن اثر المراة في شعره ، فهي ـ كما يقول ـ « مد حياته وجزرها ولحمة نفسه وسداها ، لم يستطع ان يجد غنية عنها ، ولا سلوة بسواها » .

ولشكرالله الجر ديوانان اخريان طبعهما في البرازيل ، هما « الروافد » و « زنابق الفجر » ، وله مجلة « الاندلس الجديدة » ، وقد اطلعني ـ رحمه الله ـ على مجلدات هذه المجلة الفريدة النادرة التي كان يعتز بها ، وقد احلها محل الزوجة والولد ... وعلى مكتبته القيمة التي جلب قسما منها عند عودته ، ووهب القسم الاكبر لاحدالنوادي هناك ، وما تزال في حوزة اخته مخطوطات ورسائل ادبية لم تنشر بعد ، وارى ان تؤلف لجنة لاحياء ذكراه ، وطبع تراثه كله مجموعا ، ليتاح للقارىء اقتناؤه ، ولاسيما زنابق الفجر ، والروافد ، والمنقار الاحمر .

يوم بعث لي ديوانه « من خوابي الزمن » في شهر تشرين الاول عام ١٩٧٣ ، وضع لي طيه بطاقة صغيرة يقول فيها :

اخي الاستاذ فتوح :

تحيات واشواقا ، عسى ان يرضيكم ديواني السادس الجديد . اخي ، ارجو اذا وقعتم على كتابي « قرطاجة » في مكتبات دمشق ، ان تتكرموا بارسال نسختين او ثلاث وسلفا اشكركم . سلام للجميع » .

ولحسن الحظ عثرت على نسختين فقط في احدى المكتبات ، فاشتريتهما ، ودمشق تقصفها طائرات العدو الاسرائيلي ، وانا مدجج بالسلاح ، في طريقي الى اداء الواجب المقدس..

عندما فتحت ديوان « من خوابي الزمن » ، وجدت في اوله « انظر صفحتي ٩٢ و ١٨٧ » ، واذا في الاولى قصيدته « فيحاء » التي كان قد نظمها لتلقى في دمشق « بدعوة من بعض ادبائها واساتذة مدارسها ، وفي طليعتهم الاديبة الكبيرة الدكتورة مريرة مريدن ، والاديب الكبير الاستاذ عيسى فتوح وسواهما من كرام الادباء ، ثم حالت ظروف صحية للشاعر دون ذهابه ، فلم يشا ان يحرم قراء ديوانه هذا من مطالعتها » . وتقع القصيدة في سبعة واربعين بيتا ومطلعها :

رقص قوافيك حيث الحسن والوتر ... ما لذة العيش لولا السمع والبصر
فيحاء كم قبلة للارز عاطرة ... عبر القوافي على خديك تنتشر
يا قطعة من جنان الله قائمة ... في جبهة الشرق ...... القدر
وومضة من سماء المجد ساطعة ... على محياك من اشعاعها الـر
فيحاء ما وقع انغامي لدى الفق ... بلابل الشعر في ادواحه زمر

ثم يقول :

فيحاء كم لي على مغناك من نغم ... في مسمع الدهر من اصدائه خبر
ايام جئتك والافاق مالجسة ... بالنور والطيب حيث الطيب والزهر
والذكريات ولو طال الزمان بها ... ليل يرف على اهدابه السحر
يا للمشاهد في دنياك جن بها ... من جن حين احتواه السحر والخدر
تقول وهي على ازهى محاسنها ... قم سبح الله ان الحسن مبتكر

ويشير في هذه القصيدة العصماء الى سيادة رئيس الجمهورية العربية السورية ، الفريق حافظ الاسد وسهره الدائم على بلاده وشعبه قائلا :

ابناء يعرب لا زالت مرابعكم تزهو بالخصب الوانا وتزدهر
يرعى مرافقها من قلبه (اسد) ... ويسوس الليل جنراها فترتعش
حنا عليها وغالى في تعطفه فاخضوضر اليبس فيها وانتشى الشمر

ولحسن الحظ ان نجل سيادة الرئيس كان تلميذي في معهد الحرية (اللايك) ، فحمل النسخة المهداة الى والده الكريم ، ليطلع على ما قاله فيه ابن يحشوش وجبيل ، الذي كانت اقصى امانيه ان يزور دمشق وتمنعه امراض الشيخوخة ، وقد حدثني انه زارها مرتين في حياته ، الاولى ايام حكم الملك فيصل الاول الذي دخل سورية على راس الجيوش العربية منتصرا ، هيث هناه بقصيدة عامرة بروح الثورة والقوة والشباب المتطلع الى الحرية والاستقلال وكان يومئذ فتى يمتلىء نخوة عربية ، وعزة قومية . اما الزيارة الثانية فكانت بعد عودته من المهجر في ١١ — ٧ — ١٩٦٢ .

يوم زرته في منزله الرحب المنيف المشرف على البحر ، في ٢٣ آب ١٩٧٤ ، استقبلني بحرارة منقطعة النظير ، وعانقني عناق الحبيب للحبيب ، واصر على ان ابقى في ضيافته طوال اليوم ، حيث غمرني بكرمه الدافق ، واضفى على الكثير من سحر ادبه الرفيع ، واخلاقه العالية ، وتهذيبه ونبله ...

لم ادعه مرة الى دمشق الا اعتذر عن ذلك بسبب الامراض التي كانت تلاحقه ، والشيخوخة (٢) التي لا ترحم رغم شوقه اليها ، وحنينه الى غوطتها وبرداها ، ولهفته الى رؤية اصدقائه الكثيرين فيها .. ففي الرسالة المؤرخة في ١٧ تموز ١٩٧٠ يقول لي :

« سلام وشوق واعتذار عن تاخري بالجواب على رسالتك اللطيفة ، لانني منذ اسبوعين وانا طريح الفراش ، بسبب التهابات في الكليتين ، صعدت معي الحمى الى درجة الاربعين ، زهاء ثمانية ايام متواصلة ، ولا ازال ملازما البيت باشارة الطبيب » ..

« اما ما وعدت به من زيارتك لربوعنا بصحبة الاستاذ يوسف الصارمي (صاحب مجلة المواهب في الارجنتين) فهو نبا يهز النفس طربا ، فاهلا وسهلا بالادب النبيل المحلى بالاخلاق الكريمة .. عندما استعيد نشاطي ساكتب اليك مطولا ، وليحفظك المولى الكريم » .

لقد ظلت الكلية تزعجه ، وتفسد عليه هناءته ، الى ان اجرى لها عملية جراحية . ففي ٢٢ اذار ١٩٧١ كتب لي قائلا : وقفت بيننا الرسائل لاسباب صحية ارهقتني خلال هذا الصيف كله ، ثم انتهت بعملية جراحية في الكلية اليسرى ، كما سبق واخبرتك » .

« اخي اكتب اليك هذه الكلمة لاطمئن اولا الى صحتك العزيزة ، ولاتاكد من عنوانك اذا كان هو نفسه ، لارسل اليك ما وعدتك بارساله من مؤلفاتي : وهو اقل ما يجب علي تجاه اديب كريم الاخلاق نظيرك ، سعى الى الاتصال بي يوم كان في لبنان ، ولم يسعدني الحظ بمرآه والتحدث اليه » .

« املي ان تنتهي اليك رسالتي ، ويكون الجواب سريعا ، وليحفظك المولى الكريم على اتم عافية وصفاء واسلم .. »

وما دمت في مجال الحديث عن الرسائل العشر التي تبادلتها مع الشاعر المرحوم شكر الله الجر ، على مدى اربع سنوات ونيف ، فلا باس ان اتوقف عند رسالة هامة كتبها لي في السادس من نوار ١٩٧١ ، ويعتذر فيها عن عدم تمكنه من تلبية رغبتي في احياء امسية شعرية في دمشق قائلا : « اما انا فاشكو من الضغط حاليا ، وتراني قد توقفت عن الاجهاد الفكري لهذا السبب ، ولذلك اظن انني لن اتمكن من تلبية رغبتك العزيزة باحياء امسية شعرية في مغانيكم الزاهرة ، ومنذ ايام تلقيت من الصديق النبيل الاستاذ عبد الله يوركي حلاق دعوة لالقاء قصيدة في حفلة تذكارية ستقام في حلب ، لفقيد المحاماة وصاحب المشاريع الخيرية فتح الله الصقال ، فكان جوابي الاعتذار ، بسبب الضغط الذي يصل احيانا الى العشرين » .

ثم يعود بي الى الحديث عن العصبة الاندلسية ، والتناقضات التي لحقت بتاريخها فيقول : « كثرت التناقضات التي ظهرت عن العصبة الاندلسية ، فما الحيلة لتلافيها يا ترى ؟ ان ما كتبته بقلمي تحت عنوان « حقائق عن العصبة الاندلسية » في مجلة « الضاد » وكان لك فضل الحافز الى كتابته ، لا يمكن ان اضيف اليه شيئا ، لكوني كنت واثقا مما كتبته ولا ازال ، اما ما كتبه سواي فلست مسؤولا عنه ، لانهم لم يتقصوا الحقائق من مصادرها مع الأسف ، ولعل اول من وضع كتابا عن ادباء المهجر كان الصديق صيدح ، وعنه اخذ الكثيرون ، وصيدح نفسه بعد اطلاعه على مقالي في الضاد ، اعترف ببعض اخطائه ، وسوف يصححها ، على ما ورد في رسالة منه الى صاحب الضاد ، نشرها في عدد كانون الثاني وشباط ١٩٧٠ من مجلته صفحة ٢٢ » .

اما رد الياس فرحات علي في مجلة « الاديب » فقد قراته ، والملحوظ انه اراد ان ينفي فضل العصبة على طبع كتابه « احلام الراعي » ، ليثبت هذه البادرة النبيلة لمجلة « الشرق » ، وليس في ذلك ما يشينه ، وحبذا لو عاد الشاعر فرحات بتصحيح هذا الخطأ الى الدكتورة عزيزة مريدن التي كان لها الفضل الكبير فيما كتبته عن شعراء المهجر الجنوبي ، اذ جاء ذكر ما طبعته ، او نشطت على طبعه من كتب (صفحة ٤٦ سطر ٦) في مؤلفها النفيس « القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي » ، لا الى ما ورد في رسالتي الخاصة الى الاخ الكريم الاستاذ يوسف

(١) العددان ٣ — ٤ — ١٩٦٩

(٢) ولد في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٠٨ وتوفي في ٢٢ شباط ١٩٧٥ .

عبد الاحد التي جاء فيها : « والذي اتصل بي ان ما طبعته العصبة من مؤلفات الادباء كان كذا وكذا ... فكلمه اتصل بي لا تعني الجزم في الامر ، والدكتورة مريدن نفسها ذكرت ايضا ان ديواني « الروافد » وبعده « زنابق الفجر » طبعا على حساب العصبة ، وهذا خطا لانه كان لي مطبعتي الخاصة التي تحمل اسم « الاندلس » ولم يكن من حاجة الى طبع مؤلفاتي في غير مطبعتي وتحت اشرافي .. وعلى كل فان البحوث التي دارت حول العصبة الاندلسية من جانب الادباء ، وما وقع فيها من اغلاط ، يبرر وقوعها النوايا الحسنة عند الباحثين ، وان هي الا دليل ساطع على ما يشد ادباءنا من مقيمين ومغتربين من روابط التعاطف الادبي ، قوامه هذه اللغة العربية الجميلة التي نحملها في قلوبنا وعلى شفاهنا من مشرق الى مغرب » ..

« بقي علي ان اجدد لك الشكر على دعوتك اياي الى دمشق ، وبنوع خاص على استعدادك النبيل بانزالي في دارك العامرة ، وهي امنية جميلة ان اجتمع اليك ، والى من حولك من صفوة اصدقائك ، ولا مشاحة انهم من طرازك في مكارم الاخلاق ، ومن صفوة الواردين موارد الثقافة الحقة ، ولكن عذري لديك هو ما اوضحته يا اخي من ناحية الصحة ، وقد كنت اظن انني بعد العملية الجراحية التي اجريتها في الكلية واستئصال الحصى والقيح منها ، يعود الضغط الى مستواه العادي ، فاذا به ما يزال كما كان قبلا ، يهبط قليلا ثم يعود فيرتفع ... وسواء يا اخي اذا استحال علي حاليا النزول عند رغبتك والذهاب اليك ، فلا يستحيل عليك زيارة لبنان هذا الصيف ، وانزالك من بيتي وقلبي منزلة الاخ الحبيب ، واعتقد انك تعرف رقم هاتفي في جبيل ... لا ادري اذا كنت ارسلت اليك ديواني « اغاني الليل » ، ارجو افادتي ... قد وضعت منذ اسبوعين كتابي « جزر الخطيئة » في المطبعة ... هذا وليحفظك الله عنوانا بارزا في دولة الادب والاخلاق » .

ولما اكدت له عزمي على السفر الى لبنان ، في منتصف شهر آب ١٩٧١ ، اجابني على الفور في الرابع من حزيران قائلا : « يبهجني انك قادم علينا في اواسط آب ، فاهلا وسهلا بالاديب النجيب والاخ الحبيب ، سيكون للبنان ان شاء الله من اطلالتك عليه اشهى الفواكه ، واجمل الازهار ، راجيا ان تتلفن لي محددا يوم مرورك في جبيل لانتظرك ، اذ ربما اكون متغيبا في احد مصايف هذا الجبل ، لانني لا استقر في مصيف واحد ، كوني غير مرتبط بسوى شقيقتين تذهبان الى « يحشوش » للاصطياف ، وابقى انا طليقا من واجب الاستقرار » .

لقد كان ذلك اليوم الذي التقيت فيه بالشاعر شكر الله الجر من اسعد ايام حياتي . ذلك انني ، اثناء اقامتي في طرابلس ، اتصلت به وحددت له يوم وساعة وصولي . ما ان وصلت الى جبيل عند الصباح ، حتى اهتديت بسهولة الى بيته المؤلف من طابقين ، كان ينتظرني على شرفة الدور الثاني ، وهو يراقب الطريق .. وعندما التقينا تعانقنا بحرارة بالغة ، بعد مضي اكثر من سنتين على تراسلنا ، فقد تبادلنا عدة رسائل ، وتحاورنا في العديد من الاراء والافكار والقضايا ، وكنت انا المستفيد طبعا .

جلسنا نحن الاثنين على شرفة غرفته المطلة على البحر المتوسط ، حيث تمتد امامنا غابة كثيفة من شجر الموز الاخضر ، ورحنا نغوص في احاديث شتى ، تركز معظمها على المهجر وادبائه وصحافته . حدثني عن نعمة قازان وثورته في « معلقة الارز » ، وعن الياس فرحات ، وشفيق المعلوف ، وعن مجلته « الاندلس الجديدة » ... وكم تمنيت لو كنت احمل آلة تسجيل لالتقاط هذه الاحاديث التي تبخرت من ذاكرتي الان .

لم تكن رسائلنا منتظمة كما هي الحال في رسائلي مع وديع فلسطين ، وجورج صيدح ، وعيسى الناعوري ... كانت رسائله قصيرة بالاجمال ، لان المرض كثيرا ما كان يصرفه مكرها عن مراسلة الاخوان الذين كان يحبهم ويجلهم ويقدرهم ، كلما صدر له كتاب جديد سارع الى اهدائه الي ، وكنت اشعر بالتقصير تجاهه ، لانني لم اكتب اية دراسة لاي من هذه الكتب ، واخيرا كتبت كلمة موجزة في مجلة « الاديب » قلت فيها :

« ان كلام شكر الله الجر في دواوينه الخمسة ، وقصتيه « الشبح الابيض » و « جزر الخطيئة » فيه الكثير من الروعة والابداع والاحساس باللذة والجمال والمتعة الحسية ، والالم والغربة والحنين والشوق بمعناه العام ، الامر الذي يشد القارئ الى الاستعادة ، اذ تأتي الكلمات في شعره ، كما في نثره ، مشحونة بالايحاءات والرموز ، مترعة بالالوان والرؤى ، عابقة بالخيالات المجنحة البعيدة ، ناهيك برسوم ريشته الموشحة بالضبابية والشفافية والرمزية . وقصارى القول ان ادب شكر الله الجر يجل عن النقد » ..

فاجابني قائلا : « الف شكر على كلمتك الطيبة التي بعثت بها الي عن طريق مجلة « الاديب » العزيزة . انها لقلادة مجد قلدتنيها ، تمنيت معها لو اني استحقها بقولك: « ادب شكر الله الجر فوق النقد » ... كلمة كبيرة يا اخي لا يعني الا اعتبارها من المقبلات ، للاستزادة من جهودي الادبية ... اما البلوغ الى الكمال فمن المحال يا اخي ، وعلى كل فساسعى لان اكون عند حسن ظنك بي ، وظن سائر الاخوان الادباء الالى كرعوا من خمور الفن ، وسرت في عروقهم نشوته . ليحفظك الله عنوان المكارم والاخلاق ، وبيرقا للادب خفاقا .. » . ثم يختتم الرسالة بقوله : « تاخرت بالكتابة اليك لانني وقعت في الطريق ، وسبب لي الوقوع جراحا في وجهي شفيت الان منها

والحمد لله ، واضطرني ذلك الى التوقف عن الكتابة زهاء عشرين يوما ، ريثما تنجلي الرضوض حول العين » .

قلت في ما تقدم انه طلب مني ان اشتري له نسختين او ثلاثا من ملحمته الشعرية « قرطاجة » ، بعد ان نفدت من مكتبات لبنان ، فاجابني فور استلامه النسخ قائلا :

« اخي الاستاذ فتوح » .

« ازكى الاشواق والتحيات الى روحك النبيلة الطيبة ، وشكرا على ارسال النسخ الثلاث من « قرطاجة » ، ساحتفظ بها لمكتبتي ، لان هذا الكتاب نفد من دار الحضارة ، وذهب معظمه الى تونس ، كما قال لي الناشر . »

كنت في ذلك الحين اعمل محررا في مجلة « المعلم العربي » التي تصدرها وزارة التربية فانضممت الى نقابة الصحافة ، ولما علم بالخبر بعث يقول : « اهنئك بالمركز الذي تبوأته في عالم الصحافة ، والصحافة مهنة شريفة ، اذا كان على راسها اديب مثلك ، له من مواهبه وثقافته ما يزينها . اخي نزولا عند رغبتك ابعث اليك بالابيات التالية ، لنشرها في مجلة المعلم : « من اقوال امبراطور البرازيل ـ الذي ازدهر العلم في ايامه ـ (لو لم اكن امبراطورا لوددت ان اكون معلما) » :

قل للمعلم ان ذكرك باق	في دولة الاداب والاخلاق
لولاك ما انبثقت مواهب امة	في نشئها المتوثب السباق
انشات جيلا للثقافة والنهى	وبددت ليل الجهل بالاشراق
لو انصفتك مشاعر وضمائر	لغدوت محمولا على الاعناق

وقال في الرسالة التي لم تحمل تاريخا : « قد لا يقتصر التعليم على معلم المدرسة فحسب ، بل هنالك امهات هن اول من يرسمن الطريق القويمة لاولادهن ، ومن هذا الطراز ، وصايا امراة عربية لابنتها ليلة زفافها ، والرواية كما ياتي :

« لما خطب جد امرىء القيس ام اياس ابنة عوف الشعباني ، زودتها امها بالوصايا التالية : « كوني مطيعة لزوجك ، كوني لطيفة المعشر ، كوني دائما معطرة الثوب والشعر والفم والجسد ، كوني حريصة على طعامه وشرابه وثيابه ، ضنينة بماله ، لا تعصي له امرا ، ولا تفشي له سرا ، اياك والفرح اذا كان كئيبا ، اياك والكآبة اذا كان فرحا طروبا ... » واعجابا مني بهذه النصائح الحكمية التي لا يسمع مثلها تلميذ في مدرسة ، فقد حولتها الى ابيات من الشعر ، وهذه الابيات هي :

ابنيتي كوني لزوجك نجمة	ابدا تضيء دجاه بالمصباح
كوني له طوعا يكن لك طالعا	لين الغصون يطيح بالارياح
كوني مهفهفة معطرة اللمى	فالعطر ري النفس للملتاح
واذا لمحت بناظريه كآبة	تنساب فوق جبينه الوضاح
لا تظهري فرحا ولا تتبسمي	تؤذي الكئيب مظاهر الافراح
واذا بدا مرحا ضحوكا فامرحي	وتهللي للضاحك الممراح
لا تؤثري رجلا عليه فربما	انقلب الجريح غدا الى جراح
ان العزيزة في النساء هي التي	كان العفاف لها احب وشاح

الا ان هذه الابيات لم تنشر في مجلة المعلم العربي ، واستمرت مطوية عندي الى ما بعد وفاته .

كان كلما قرا مقالا لي في احدى المجلات ، لا يسعه الا ان يعبر عن اعجابه ، فعندما اطلع على مقالي « علاقة الوصف الادبي بالصورة » في مجلة المعلم العربي ، كتب لي في ١٢ شباط ١٩٧٤ يقول :

« عدد المعلم العربي الذي تفضلت بارساله الي ، حافل حقا بالموضوعات الجليلة ، ولعل افضلها في نظري مقالك « علاقة الوصف الادبي بالصورة » . انه فعلا مقال رائع ، تتجلى فيه حصانة الراي ، ودقة التحليل ، فاهنئك ، وفقك الله يا اخي وزاد بعمرك لتزودنا من روائعك . اما كلمتك عن الشاعر المهجري الحمصي المرحوم نصر سمعان ، في مجلة « الكلمة » الحلبية ، فقد اثارت الدمع من عيني ، لانه كان من الطف الاصدقاء واقربهم الى القلب ، ببساطة مظهره ، وصفاء سريرته . ومن المؤسف انه في اواخر ايامه جنح الى الكاس ، بعد ان ساءت حاله ماديا وصحيا ، فاستعجل منيته بيده . وفي قصيدتي « وفاء وذكرى » المنشورة صفحة ٧١ في ديواني « من خوابي الزمن » ، وقد نظمتها خصيصا لتلقى في الحفلة التذكارية التي اقيمت للمرحوم نظير زيتون ، اتيت على ذكر نصر سمعان وحسني غراب ، حيث اقول :

ما لحزني يزداد ان ذكروا نصرا	وحسني ، وما لدمعي هتونا ؟
ما لقلبي وفيه من صور الاثنين	وجهان لا يغيبان حينا ؟

تسالني كيف اقضي ايامي في هذا الشتاء البارد الصارم ..؟ . انني لم ابرح البيت منذ خمسة اشهر لاسباب صحية طرات علي ، على راسها الضغط ، وقد جاء البرد ليزيدني ضيقا وضجرا ، ويذكرني ليالي الحارة في ريوجانيرو ، يوم لم تكن نعرف للبرد وجها ، ولا للموقد لونا ... ولكنها الايام والمناخات المختلفة ، لها سلطانها على الجسد والروح ... والذي يهمني من كل هذا ان اطبع ما لدي من مخطوطات قبل ان ابرح هذه الدنيا .. » . وكانه كان يتكهن بدنو اجله ، وقرب غروب شمسه ، فرحل عنا قبل ان يطبع جميع ما لديه من دواوين ومخطوطات ، تاركا بعده كثيرا من القصائد المتناثرة ، والمقالات الموزعة هنا وهناك .

ثم ينهي الرسالة بقوله : « اجدد شكري لك يا اخي لافتقادك اياي من حين لاخر برسائلك وعاطفتك النبيلة ، وليس هذا بكثير على من له اخلاقك العالية ، وصفاتك الحميدة ، والى لقاء منتظر هذا الصيف ان شاء الله » .

ولما اكدت له عزمي على زيارته يوم ٢٣ آب ١٩٧٤ ، اجابني بسرعة قائلا :

« سلام واشواق ودعاء . اخذت رسالتك اللطيفة ، وهي صورة عن جودة معدنك وشعاع نفسك النيرة ، فشكرا حميما . تعللني بزيارتك هذا الصيف ، فاهلا والف اهلا ، فمركز بيتي تعرفه في جبيل ، وتلفوني هو ذاته » .

« اما ما يتعلق بكتابك المخطوط «اديب اسحق باعث النهضة القومية » نسعى جهدنا الى طبعه في دار ما من دور النشر ، واصحاب هذه الدور ، يا اخي ، تجار وليسوا بادباء ، ليقدروا قيمة الادب الصحيح ... ان اديب اسحق شخصية قوية لا مشاحة ، وهو كما ذكرت عنه علم من اعلام النهضة في عصره ، فهل يفهم هؤلاء الاميون من جماعة دور النشر مكانته ؟ على كل سنرى ما سيكون . تلطف بقبول ارق مشاعري الاخوية ، واسلم للمخلص . شكر الله الجر » .

آخر رسالة كتبها لي كانت قبل ثلاثة اشهر من وفاته تقريبا ، تاريخ هذه الرسالة ، وهي العاشرة ، ٢٥ – ١١ – ١٩٧٤ ، ووفاته يوم الاحد في ٢٣ – ٢ – ١٩٧٥ ، حدثني فيها عن اثنين من ادباء المهجر في البرازيل معا : المرحوم موسى كريم صاحب مجلة « الشرق » الذائعة الصيت في دنيا الاغتراب ، والشاعر الحمصي ميشيل مغربي – مد الله في عمره . يقول في هذه الرسالة :

« اخي الاستاذ فتوح حفظك الله وابقاك اخا نبيلا وعزيزا على قلوب محبيك وإنا منهم .. اخذت رسالتك اللطيفة ، تشرق اشراق وجهك الانيس ، بما فيها من صفاء ووفاء . اما بخصوص زيارتي مدينتكم الجميلة دمشق ، فانني بالرغم من تشوقي الى هذه الزيارة ، ارجئها الى اوائل الصيف القادم ، بين نوار وحزيران ، ان شاء الله ، وسيكون حظي كبيرا بمشاهدتكم ولفيف الاصدقاء والادباء شاكرا لك منذ الان حسن ضيافتك ،وهي من تحصيل الحاصل لدى اديب كبير من طرازك ، عرف بمكارم الاخلاق وكرم الضيافة » .

« اخي ، اليك بمعلوماتي عن الزميلين موسى كريم وميشيل مغربي ...

اما موسى كريم ، وهو صاحب مجلة الشرق الجامعة المصورة الصادرة (بمدينة سانباولو الصناعية التجارية الكبرى) فقد بدأ حياته جامع اعلانات لجريدة « ابي الهول » اللبنانية ، لصاحبها شكري الخوري من بلدة بكفيا ، ثم انتهى به المطاف الى اصدار مجلة شهرية دعاها «الشرق» ، عرف من خلالها كيف يستثمر عنجهية الاغنياء بنشر رسومهم الشخصية ، ورسوم اولادهم بمناسبات حفلاتهم الاجتماعية من اعراس ومآتم ، وعرف ايضا كيف يستدرج الادباء لنشر خواطرهم الادبية من نثر وشعر ، مع التنويه بهم ونشر رسومهم .

لم يكن كريم كاتبا بليغا ، ولا مفكرا حصيفا ، كان كاتبا عاديا ، ومحدثا ثرثارا ، يضجرك بثرثرته . وقصارى القول كان تاجرا في مجلته ، ولا يسمى اديبا بالمعنى المعروف .

كان ذكيا ونشيطا ، اجاد اللغة البرتغالية ونقل عنها اشياء الى العربية ، كما نقل عن العربية اشياء الى البرازيلية ، منها عن كتاب « كليلة ودمنة » ، ومنها عن اخبار العرب المثيرة لقراء القسم البرازيلي من ابنائنا هناك ، وقد كان لهم من صفحات المجلة ما يزيد على الخمسين صفحة ... كما هو حال مجلة « المراحل » اليوم التي تصدرها مريانا دعبول فاخوري ، وتكثر فيها الرسوم والصفحات البرازيلية » .

ميشيل مغربي :

يحسن من اللغات العربية ، وقليلا من الفرنسية ، ولعله اجود قريحة من سائر شعراء حمص في البرازيل ، واكثرهم تعددا لمواضيعه . يروقك مجلسه المتواضع لصفاء قلبه ، وبساطة مظهره ، وللهجته الحمصية الاصيلة، فلا مصانعة ، ولا حذلقة ، وعند من لا يعرفه اديبا ، يظن انه تاجر ازرار فحسب ... سهل القياد ، بعيد عن التعصبات الحزبية والسياسية ...

اخي الاستاذ فتوح :

هذه معلوماتي العامة من حياة موسى كريم وميشيل مغربي ، اما حياتهما الخاصة فاني اجهلها واذا عرفت بعضا منها فلا اظن انه يهمك امرها .

اخي ، نزولا عند رغبتك ارسلت اليك « شذرات شعرية » ، ولك ان تنشرها حيث تشاء ، أفي جريدة (حمص) أم في سواها .

قبلاتي واشواقي اليك والى لفيف الاصدقاء ، آملا أن تكون الابيات الشعرية التي بعثت بها الى الاستاذ حسان الكاتب قد انتهت اليه ، ولا بأس من نشرها اذا اراد . متى سيصدر كتابك عن اديب اسحق ؟ » .

لم انشر الشذرات التي ارسلها الي ، بل ظلت مطوية مع رسائله العشر ، وآثرت نشرها مع هذه الرسائل ، لانها جاءت محمولة فيها ، لتكون خاتمة الكلام . ويلاحظ انني فضلت نشر جميع ما تلقيته من شكر الله الجر خلال اربع سنوات ونيف ، لعل احدا من دارسي ادب المهجر ، او شكر الله الجر يستفيد منه :

ما دمت انت

انا لا انام وفوق خدك ما يشم ويقطف
انا لا ابالي في غرامك ما يقول المرجف

حسبي من الاغصان غصن في قوامك اهيف
حسبي من الانغام لحن في عيونك يعزف
ومناهل للوحي في الاهداب حين ترفرف
لن اشتكي بردا وعندي من حنانك معطف
لن اشتكي هجرا وطيفك كيف سرت يطوف
لن اشتكي عطشا ولي من فيك ما ارتشف
لي من اغانيك الحنونة في الهموم ملطف
ما دمت انت بجانبي تحلو الحياة وتظرف

تراث الفن

ثقف شعورك كي ترى ما في الفنون من البدائع
او لا فانك سوف تبقى مغمض العينين ضائع

بلا وجـه

صفاء الحيدري

بغداد

على جسر قديم ، غير محتاط
عبرت مفجرا تحتي
مسافاتي واشواطي
ولم يترك لي الامس الذي غادرته سرا
سوى تكرار انماطي
سوى رسمي وتصويري وفعلي كل اغلاطي

انا احيا بغير غد
بغير مسافة بيني وبين الامس
« هذا العاجز الخاطي »
كمثل النهر والشاطي
وكامراة بدون قلادة ، مشط واقراط
اعيش انا بلا وجه
فمن ندم الى ندم
الى فشل لافراط
ومن عنف الى لين
الى حذر لافراط
احاذر دائما نفسي
كمن يمشي على شوك
على اسنان امشاط
فلا التاريخ يحميني ولا تبرير احباطي

حق الفنون على الثقافة ان تكون لهنا مراجع
ان الفنون منائر الاجيال تنطق بالروائع
لم تنقرض مدنية لها من تراث الفن جامع

حدود اللانهاية

لو كنت تعلم يا ابن الارض ما اشتملت عليه ذاتك من اسرار دنيانا
وان نفسك هذي وهي نيرة تستقطب الكون اشكالا والوانا
وجدت ان حدود اللانهاية في اعماق اعماق من سموه انسانا

الثورة الفرنسية

قال الفرنسي قولا قد جرى مثلا تداولته الليالي من فم لفم
لم تنتج الثورة الكبرى لنا ثمرا لو لم تواكب خطاها ثورة القلم
ما هد اعمدة (الباستيل) مدفعنا بل هدها قلم يرغي من الالم

دمشق — عيسى فتوح

ما زلت اسمع حفيف الشجر وقد هزه النسيم هزا خفيفا لئلا يشعرني بالوحدة في هذا الصمت الرهيب ... وما زلت ارى كيف ان الشمس تركتني وحدي في وحشة الطبيعة ، ولكنها ارسلت القمر ليرنو الي من بعيد ، وقد ارسل خيطا من نور تماوجت فيه اوراق الشجر حتى لكانها ورقة من اوراق الاساطير القديمة كتبت لها الحياة ...

وما زلت اذكر كيف اتتني بعد انتظاري الطويل ، وهي تتمايل مع النسيم الرقيق ، وتضحك ضحكتها المعتادة التي لو قابلت بها انسانا يريد الانتحار لعاد من توه بهمة المؤمن وعزيمة المجاهد يضاحك الدنيا والدنيا تضحك له . ما زلت اذكر كل هذا وكيف قالت لي وقد تكلمت عيناها الساحرتان قبل مبسمها الجميل ، بلهجة الفيلسوف الذي احكمته التجارب وعلمته الايام ، وقد تمددت على البساط الاخضر ، وراحت تنظر الى اوراق الشجر كانها تناجيها !

— ان الطبيعة يا صديقي .. لتسخر من الانسان احيانا .

— وكيف ؟

— تراه يغيب عن شعوره في ساعات حالمة من صفاء السماء ورقة النسيم ، وتدعه يعيش مع الخيال فهو ملك تارة وانسان قضى عليه الدهر بالعذاب تارة اخرى .

وتنهدت ثم تابعت كلامها ...

ويرى نفسه وقد ركب بساط الريح يسابق به السحاب ليوصله الى امانيه البعيدة ، اليس هذا من خداع الطبيعة لهذا الانسان البائس ؟

امسكت بزهرة كانها تفتحت من كلامها .. وحاولت الا ابدي اهتماما كبيرا بما قالته لانها تحب ان تعتز بافكارها ، وكانها صاحبة كل فكرة جديدة .. اتت في كتاب او مجلة او في سطر من سطور سفر الطبيعة .. ثم قلت وقد بدأت اصابع يدي تعبث بشعرها الذهبي ..

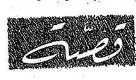
— عزيزتي .. ما احلاه من خداع وما اشجاه .. فلولا هذا لكان الانسان في ضنك من عيشه لا يدري ماذا يفعل ، فالحياة تطبق عليه من كل جوانبها حتى يكاد يختنق مما هو فيه ، ويشعر ان الرياح قد توقفت وتوقفت معها اسباب الحياة ، ويرى كل شيء قد لمسته اصابع الموت حتى تركته هزيلا فيه معاني الموت ... فهذا الانسان يفزع من عالمه المظلم الى عالم فسيح تتعانق فيه الشجيرات عناق الاحبة بعد غياب طويل ، وتتنفس فيه نسيمات الحياة على صوت طروب من قبلات الشجر ... فهلا احببت لهذا الانسان البائس ان يعيش في غير عالمه ولو لحظات يسيرة .



بقلم ابراهيم زبيق

وكانت قد اغمضت عينيها الساحرتين كانها في شبه حلم ، وبدا على وجهها الفاتن بعض معاني الحزن لا ادري ما سببه . ثم تابعت حديثي وقلت :

— ثم ان الطبيعة يا حبيبتي قلعة العشاق يحتمون بها من غطرسة الهجر ، ويسلون فيها من غصة الفراق ، ويجدون فيها من يشاركهم هذا الالم الجميل .. الذي تختاره النفس عن محبة ورضى .. واعني به هذا الحب الطاهر المقدس ...



اعتدلت في جلستها ونظرت الي نظرة فيها بيان بليغ ، وهمت ان تتكلم بشيء غير انها اخفت سرها واصطنعت ضحكة وقالت :

— اراك اليوم تتكلم عن الحب وعن الهجر كانك اديب يتقن صنعته ، فهو يحاول ان يصطنع عواطف وآهات في قصته حتى تكون رائجة في سوق الحب ، يتهافت عليها المحبون التجاريون .

— وكيف يكون الحب تجاريا ايتها المحبة الاقتصادية ؟!

ضحكت ضحكة تريد ان تغيظني بها غير اني قلت :

— يا حبيبتي انني لا انتظر الجواب منك لانني اعرفك حق المعرفة ولكنني اقول لك ..

وقاطعتني في حديثي وقالت :

— لا احب ان تفهم مني ما لا اقصده .. وانا اتكلم عن المحبين التجاريين الذين يمنون احباءهم باماني كبيرة لا تعدو فرقعة هواء تكبر وتكبر ثم تتلاشى مع صرخات الاطفال لها .. اليس هناك اناس هذه صفتهم ؟..

— نعم ولكن ..

— ولكن ماذا ايها الاديب .. عفوا انت الان من المحامين ..!

— دعيني من هذا الموضوع ..

وقمت وقامت واخذنا نمشي بين اشجار تتهامس فيما بينها عن المحبين .. وكادت ان تنزلق فاسرعت وامسكت يدها وقلت :

— حبيبتي .. لا تظني ابدا انني احب ان ادافع عن هؤلاء المخدوعين ، ولم اقصد ان اغيظك ..

ولكن آه .. لو تفهمينني .. غير انك يا عزيزتي ..

قالت وقد اخذتها رعشة من رعشات الحب :

— عصام .. انني احبك حبا صادقا لا تجاريا .

— وانا كذلك .

— ولولا هذا لما اتيت اليك طائعة مختارة ، وتركت ورائي ابا واما لا يعرفون اين ذهبت ، وانا يا عصام

منذ ان رايتك لاول مرة احببت فيك رجولتك المبكرة ، ويراعك الذي ينفث سحرا كسحر هاروت وماروت .. واحببت فيك صدقك وحبك الذي منحتني ولن اجد مثله ابدا ما عشت ... ولكن ..

ونظرت الى زهرة كانت نابتة بين اعشاب قصار ، كانها تحاول ان تتناسى اشياء كثيرة تراها اينما حلت ، ثم رفعت رأسها نحو السماء وقد ابصرت دمعا يترقرق في عينيها الزرقاوين .

ـ لا داعي لمثل هذا يا حبيبتي ، ما هو بجو حزن ولا كآبة .. الا ترين كيف الطبيعة اليوم كانها في زفاف..

ـ اين الزفاف ، واين تغريد العصافير ، واين بسمات الزهر ، كلها كانها في احتضار . عصام ... لا تزال انت في مقتبل العمر ، والدنيا قد تهللت لمجيئك ، ومستقبلك الزاهر نجمة في السماء ينظر اليها كل انسان على انها مصدر اشعاع ونور ... اما انا ...

وبدات الدموع تنسكب من عينيها ، وراحت تجهش في بكائها ، وانضمت الى صدري انضمام طفل الى صدر امه .. يجد فيه كل معاني الراحة والطمانينة عندما يشتد به الفزع ..

ـ وانت ايضا في مقتبل العمل ، وقد زفت اليك البشائر مع ازهار الربيع واشعة البدر ، فهذا شعرك الذهبي الذي تداعبه نسيمات الغروب .. وهذه عيناك الزرقاوان الصافيتان صفاء السماء كلها معان تنبض بالجمال .. وهذه نظرتك الناعسة ، وهذا الوجه المتلالىء بنضرته حتى لكانه خلق من نور الفجر ...

ـ ارجو يا عصام الا تزخرف الفاظك وتجعلها سهاما في قلبي ، فانا جميلة حقا ولكن ...

وسكتت هنيهة كان نفسها تنازعها على الا تتكلم ... خوفا وشفقة علي ، هذا ما اشعر به ...

ـ ولكن ماذا يا حبيبتي ..

ـ او مستعد يا عصام لسماع الحقيقة ...

ـ قولي ما شئت ..

ـ وان كان هذا سبب افتراق لا اجتماع بعده ..

واخذ الدوار براسي حتى اصبحت كانني ثمل .. شبه سكران .

ـ هل انت جادة فيما تقولين .

ـ اذن لست بمستعد لسماع الحقيقة ، وليس هناك وقت آخر لها .

وتركت يدي وهمت بالسير وحدها .. فسارعتها وقلت :

ـ ان كنت يا حبيبتي سبب شقائك فانا مستعد ..

ولكنها اخفت دموعها بالنظر الى ناحية اخرى ، وبدت مرتبكة لا تدري ما تفعل وهمت بالسير .. وآذنت الشمس بالغروب ، وراح الليل يلبس سواده ، اما الزمان فكاد ان يتوقف.

نظرت الي نظرة فيها معاني الوداع الاخير ... والدمع يترقرق في عينيها .. ثم قالت كلمة واحدة :

ـ تاخرت ...

جمدت انا في مكاني كانني جماد لا روح فيه ، وغاب الكلام بين غياهب الحزن ، وبدات تبعد عني قليلا .. قليلا وهي تنظر الى الوراء .. وتقول في عينيها . غدا القاك ...

وانهمرت من عيني دموع الوداع .. ولم ادر بعدها ما فعلت ...

مضت ايام وسنون ، ولم تعد ، ولم ارها ابدا ، وصرت اذهب كل يوم الى شجيرات الصفصاف التي شهدت ساعة الفراق ، ابثها حزني والمي .. ولكن لا جواب على هذا الا اوراق تئن عندما تلامس النسيم وذهبت مع سرها المدفون في صدرها لا ادري ما الذي جرى .. وبت انظر نظرات حائرة في هذه الحياة نظرات كلها قلق وقنوط .. وقلت متسائلا :

اهكذا يكون الوفاء ... أم هكذا يكون الغدر في احدى صوره ...

★

فتاة لعوب قد اخذت من كل شيء نصيبا ، فان سمعت كلامها وجدت حلاوة وطلاوة ، وان رايتها بجملتها رايت فتنة تتحرك وعاطفة تتاجج...

لم اكن اعرفها ، ولم اكن اعرف الجمال قبلها .. في عينيها بريق الذكاء ، وتلمح في شفتيها شفق الغروب اما وجهها فهو مشرب بالحمرة الدائمة كان فيه معنى من معاني الحياء...

كان اول لقاء بيننا في مكتبة عامة ، اذ كنت موظفا صغيرا فيها ..

كنت اتسامر مع بعض الموظفين في فناء المكتبة ، اروي لهم من اخبار الظرفاء ، واذ دخلت فتاة يكلمك حسنها وانت تراها كانها بيان ساحر من بيان الجمال حول الى فتاة ...

نظرت اليها نظرة تقدير لهذا الجمال الاخاذ .. وتوقفت عن حديثي هنيهة ثم تابعته ولكن بلا تفكير ولا روية ..

وبدات قصة حب انتهت كما تنتهي اية حياة .. وكان آخر سطر من سطورها في روضة غناء هكذا قالوا .. وان اول خطوة نحو الحب هي اول خطوة نحو العذاب ....

كنت احبها حبا صادقا تجسد في معاملتي لها خلال فترة حبنا ، وقد احببتها لجمالها وكبريائها وعفتها .. ولكن هل كانت تحبني مثل هذا الحب ...؟

كنت افكر فيها ليلا ونهارا ، اينما نظرت رأيت ضحكتها الخلابة ونظراتها الناعسة ...

اما هي فتارة اراها تحبني حبا حتى لا اشك في صدقه ، وتارة اخرى اشعر بنفسي كانني في زاوية النسيان عندها .. او كحجر ملقى في طريقها لا تلتفت اليه ..

مرت شهور ونحن على هذا .. حتى كان الفراق بيننا في احد الاماكن .. قالوا عنها بانها بساتين السعادة .. ولم ارها انا الا احدى اودية العذاب .

لم ادر سبب فراقنا .. غير انها قالت ستعود ولم تعد ... وذهبت مع ايامها الجميلة كما تذهب نجمة

ليالي الخابور

يا لياليـنا على الخابور ، كـم تفري ، وتغـري
بحديث عـن مغاني الحب في روضـة شعـري
وشعـاع البـدر يلقانـا علـى غيمـة عطـر
يـرسـل الأنـوار للخابور فيندي كل زهـر
والدنى ، كوخ ودوح
واغاريد ، وبـوح

زورق الاحلام في الشط ، تهـادى بالمنـى
بسمت فيـه الأمـاني مـن رؤى الحب ، لنـا
وزهت مـن حولـه الادواح فرحـى الميجنـا
يـا حبيبي ، ذهـب العشـاق ، والليل دنـا
زورق من الف ليله
ترقص لانجم حوله

والهـواء الطلق يشـدو ، بيـن اوراد الجنـان
والضفاف الخضـر نشـوى من اغاريد التداني
تحمل الاطياب للخابور في هزج الاغاني
وهنا – انت ، وقلبي – وتباريح الزمـان
والشذا ، هب نديا
يملأ الآفاق ريـا

يا حبيـبي ، هـذه الشطآن ، مهـوى ذكرياتي
فتعـال اليـوم نلهـو برفيف الامنيـات
واعطنـي مـن فمك الـوردي حلـو النغمـات
يـا حبيبـي . . لا تدعنـي غارقـا في لهفاتـي
لم لا تأتي ، حبيبي
انت زوادة طيبي

يـا ليالي . . اين انت الان منـي يـا ليـالي
أيـن تلك الليلـة القمراء فـي حضـن الـدوالي
يـوم هلـت غـادة الـدنيا لتغنى فـي وصـالي
وعلـى الخابـور يجري المجـد موفـور الجمـال
يا ليالي ، انت صفـوي
انت والخابور ، شدوي

الخابور : نهر الجزيرة السورية واحد روافد الفرات.

دمشق اسماعيل عامود

في السـماء بين طيات السـحاب . . .

لقد آثرت الا اقع في حـبها . . وتظاهرت بالكبرياء . . ولكنها اذلتني . . وتركتني ذليلا . . اتسكع في طريق الحياة . . من غير هدى ولا برقـة من امل . . .

هل فعلت كل هذا السـحب المصطنع لتوقعني في شركها ثم تتركني وحدي لا ادري اين اسير . . ام انها رات جذوة شباب في فحاولـت اخمادها . . . ام رات زهرة احبت ان تميتها ام انها خلقت لتكون دليلا على ان الانسان يموت بغير سلاح ولا مرض ، ولتكون دليلا آخر علـى ان هناك موتا غير هذا الموت الـذي نراه . . .

ما اشقى المحب . . يشتري عذابه وآلامه وهو ممتلىء سعادة وسرورا ثم يبكي من آلامه بكاء طفل غابـت امه عن انظاره . . .

دمشق ابراهيم زيبق

الطب في الكوارث والحروب

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

زميلة الجمعية الملكية لطب المناطق الحارة والصحة ببريطانيا ودبلوم الصحة العالي من جامعة لندن

* * *

يتعرض المجتمع البشري من غير شك لكوارث عديدة بعضها طبيعي وبعضها من صنع يده ، فالطبيعي منها الزلازل والانفجارات البركانية وانهيار الصخور العظيمة وسقوط الأبنية والمنازل والفيضانات وانكسار السدود والقحط والمجاعة وحرائق الغابات والاوبئة كالطاعون والتيفوئيد والكوليرا .

اما الكوارث غير الطبيعية التي هي من صنع يد الانسان نفسه فاهمها الحروب وتتضمن الغارات الجوية والقاء القنابل الذرية والصواريخ التي تحدث حروقا في القرنية واضرارا جسمية وورائية كسرطان الدم وسرطان البشرة وتشويه الاجنة ، فضلا عن الانفجارات والحرائق وسقوط المباني .

وهناك طائفة ثالثة من الكوارث تقع بين الطبيعية والصنعية كسقوط الطائرات وخروج القطارات من خطوطها واصطدام السيارات والحرائق وانهيار المناجم ، واهم ما ينبغي ملاحظته في الحالة الاخيرة فحص عمال المناجم لئلا تكون لديهم اعواد ثقاب اي كبريت اذ يحرم عليهم التدخين والفحص عن الغاز فحصا دقيقا ، ولا تستخدم الا الادوات التي لا تقدح شرارا .

وتكون الكوارث ولاسيما الحروب خطرا على الزراعة وتسبب انتشار اللاجئين والمجاعة والقتل والسرقة والامراض الزهرية في اعقاب الخراب والفوضى فكل هذه ينبغي اتخاذ احتياطات مشددة لها مسبقا .

وتتفاعل الاوبئة والمجاعة او هبوط مستوى التغذية مع الحرب ، فالحرب تدفع الفلاح من حقله الى ميدان المعركة فتتلف مزروعاته فيفضي ذلك الى الغلاء والقحط وسوء التغذية فتقل مناعة السكان فيقعون ضحايا للامراض البدنية والنفسية ، والحقيقة ان الحرب ما هي الا انفعال شديد على مقياس جماعي واسع .

وما يعقب الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية من حروب وغير حروب ليس باقل خطورة من التخريب المباشر الذي تحدثه ، فبعد كل كارثة يغدو العدد الكبير من الناس بلا مأوى محرومين من الطعام واللباس والضرورات الاساسية الاخرى ومعرضين لظروف مناخية وبيئية سيئة .

وعلى ذلك ينبغي اتخاذ الخطوات التالية : التدريب على الاسعافات الاولية على اوسع نطاق ممكن حتى لو اقتضى الامر تدريب الشعب كله بوسائل المذياع والتلفزيون، والى ذلك يجب توفير مختلف وسائل النقل الاسعافية السريعة كالطائرات العمودية او الهيليكوبترات والطيارات والسيارات بل حتى قطارات وبواخر الاسعاف المزودة بمستشفيات متنقلة لترسل في الحال الى مواطن الكارثة ، وباعتقادنا ان الهيليكوبترات اشدها نفعا في البر والبحر ، على ان تكون مزودة تمام التزويد بحقائب المعدات الطبية والماء والطعام .

وليس ثمة من ينكر اهمية المستشفيات المتنقلة ولعل العرب كانوا من اوائل الذين استنبطوها واستخدموها وذلك في العصر العباسي وقد اشار اليها آدم ميتز في كتابه : « تاريخ الحضارة الاسلامية » فالمستشفيات المتنقلة ذات نفع كبير في الحروب وفي اعقاب الحروب ولاسيما بين اللاجئين ، وقد كانت المستشفيات المتنقلة تحمل في الهيليكوبترات اثناء الحرب الفيتنامية ، وتستعمل الى ذلك سيارات العلاج الجوالة وغرف العمليات المتنقلة .

ومن المهم ان نتذكر وجوب اقامة مستشفيات صغيرة لا تبعد كثيرا عن المطارات المدنية والعسكرية ومحطات سكك الحديد الكبرى تحسبا للاحداث والطوارىء .

وفي كل كارثة يجب معرفة ابعادها وقد نحتاج الى اخذ تصاوير لها من الجو كما حدث في الزلازل التي وقعت في ايران سنة ١٩٦٢. ولا بد من تجنب الازدحام وتفريق التجمعات جهد الامكان ، واعادة وسائل الاتصال والنقل كالاذاعة والتلفون والطرق والجسور والخطوط الحديدية ، وتقوم في الوقت ذاته فرق خاصة باخماد الحرائق ، ويمكن حمل الماء بخزانات الماء السيارة وبالقطارات والطائرات ولاسيما العمودية منها او حتى اذا اقتضى الامر بالبحر في خزانات أسطوانية ضخمة مصنوعة من اللدائن تطفو على وجه الماء ، فالماء في الكوارث الحربية وغير الحربية اهم من الطعام ، والطعام في الوقت نفسه ايسر حملا وتوزيعا .

وفي كل كارثة مهما كانت لا بد من قيادة شجاعة حكيمة لرفع المعنويات الى اقصى حد ممكن فالعامل النفسي يلعب دوره الخطير في هذا الميدان .

وتتجه المعالجات الآنية عادة الى معالجة الصدمات والنزيف والغنغرينا او تعفن الجرح . اما الحروق فيجب ان يقام لها مركز خاص مستقل ، ويوجه اهتمام خاص للتلقيح فالخوف اشد الخوف من التيفوئيد والتيفوس والكوليرا والديزانتري او الزحار واحيانا من الجدري والتهاب اغشية الدماغ او ذات السحايا الدماغية .

ويجري التطعيم في معسكرات اللاجئين على الحدود قبل عودتهم الى قراهم ومدنهم التي اجلوا عنها وان اي تاخير يزيد من صعوبة حصر المطعمين ويقلل من فعالية

ذكرى

الى فؤاد الخشن

اذكري ، يوم التقينا في الربيع ... والهوى للقلب يوحي بالخشوع
كان تذكار الهوى لي ربوه ... شهدت حلو لقانا في البقيع
كم جررت الذيل من زهو الصبا ... فوقها والشوق يعوي في ضلوعي
ارسل الاشعار في نور الضحى ... فيغنيها لنا راعي القطيع
زفرات الشوق في مزماره ... تجعل القطعان في صمت بديع
تلك ايام لها في مهجتي ... موئل يعرف في النجوى خضوعي
والهوى سحر الى اهل الهوى ... يبعث الاشواق في القلب الوجيع
يا منى النفس التي تيمها ... لاعج الشوق ، متى يوم الرجوع
كلما مر ربيع ، همت في ... روضه في صبوة الصافي الخليع
اتملى كل وجه ضاحك ... لحسان هائمات في الربيع
لم اجد وجهك في الوادي ولا ... في الربى من بين هاتيك الجموع
غاب عني نور عينيك الذي ... يلهم الفنان بالوحي البديع
اين انت الان ، يا حوريتي ... هل لصيحات ندائي من سميع
كلما لاح لعيني منظر ... منك ، يوما، غام من بين دموعي

البحرين — احمد محمد آل خليفة

التطعيم ، ولا بد من توفير كميات كافية من مضادات الكوليرا والسلفونومايد بصورة خاصة والحيلولة دون انتشار مرض الملاريا .

وقد تستدعي الظروف احيانا استخدام ذوي المهن الطبية والممرضات من بين اللاجئين غير المصابين انفسهم او حتى من بين المساجين والمتطوعين الاجانب .

ومن المحتم ان تكون لدى كل دولة تجهيزات ومعدات مهيأة للطوارىء التي تتوقع ان تتعرض لها يوما ما ، وقد تكون مجمعة في موقع واحد او موزعة ، وهو الافضل ،في مواقع حساسة متعددة . وقد اجريت احصائيات علمية دقيقة لما يحتاج اليه كل عشرة الاف شخص من المصابين بالكارثة من جميع الوجوه الطبية والسكنية والوقائية ، وكان بودي ان استعرض نموذجا منها بمفرداتهاومقاديرها، غير ان المجال لا يتسع لذلك ، مما يحملني على ان اقتصر على الحقائق التالية :

تحتاج مستشفيات الميدان ما بين ٤٠ الى ٦٠ لترا من الماء يوميا لكل شخص ومن ٢٠ — ٣٠ لترا في مراكز التغذية الجماعية للشخص الواحد يوميا ، ولمراكز الغسيل ٣٥ لترا لكل شخص في اليوم ، ويجب تعقيم ادوات الطعام قبل كل وجبة بالماء المغلي لمدة خمس دقائق او استعمال محلول الكلورين ١٠٠ ملغم في اللتر الواحد لمدة ثلاثين ثانية ، ولغرض التعقيم العام يحتاج الشخص الواحد الى ٣٠ غراما من الـد.د.ت واقل ما يمكن من المسافة بين فراش واخر هو ٧٥ سنتمترا على ان يخصص للشخص الواحد ثلاثة ونصف متر مربع في جوف هواء لا يقل عن عشرة امتار مكعبة .

ويجب ان يدفن البراز والقاذورات تحت ما لا يقل عن ثلاثين سنتمترا من التراب .

وقد دلت التجارب على ان المراكز الصحية والملاجىء المؤقتة المزودة لضحايا الكوارث كثيرا ما تعترض سبيلها المشكلات والمصاعب ، ومن اهمها التاثير النفسي للكارثة متجليا بتبلد الإحساس وفتور الشعور ، ومستوى المعيشة الواطىء للكثيرين منهم قبل وقوع الكارثة وجهلهم بطرق استعمال التجهيزات المزودة والمحافظة عليها ، فينبغي والحالة هذه توجيههم وارشادهم باستمرار ليكونوا على مستوى نفسي ومعيشي وصحي معقول .

لندن — صبيحة الدباغ